

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي بالوادي

قسم : التاريخ

معهد العلوم الاجتماعية والانسانية

القبيلة والسلطة في بلاد المغرب
دولة الموحدين أنموذجا
(515-668هـ/1121-1269م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ

الأستاذ المشرف:

عمار غرائسة

إعداد الطالبان :

وينب قرفي

سارة فرجاني

هنية سقني

اللجنة المناقشة:

أ/ عاشور قمعون

أ/ عمار غرائسة

أ/ جباري عثمانى

رئيسا

مشرفا ومقررا

مناقشا

الموسم الجامعي: 1431-1432هـ/2010-2011م

شهدت بلاد المغرب في العصر الوسيط قيام عديد الكيانات السياسية التي كان دورها في مسار الحركة التاريخية للمنطقة، وقد كان ذلك نتيجة لعدة تفاعلات شهدتها المنطقة. وقد كان قيام هذه الكيانات على عدة أسس كان لها دورها الفاعل في قوتها وضعفها، وضمن كل هذه الأحداث كان هناك محرك أساسي حاضن لهذه التفاعلات وهي القبيلة، مما جعلها العنصر الأساسي في هذه الحركة.

وعليه كان موضوع مذكرتنا الموسومة بـ: **القبيلة والسلطة في بلاد المغرب، دولة الموحدين أنموذجاً (515-668هـ/1121-1269م).**

دواعي اختيار الموضوع: أما عن دواعي اعتمادنا هذا الموضوع، فضمنها دوافع ذاتية و أخرى موضوعية، و من الدوافع الذاتية نذكر:

- الرغبة في معرفة تاريخ المغرب في العصر الإسلامي باعتباره جزء من ذاكرتنا
- محاولة التعرف على دور القبيلة السياسي، باعتبارها من المميزات الأساسية للحياة في بلاد المغرب.

أما الدوافع الموضوعية فمنها:

- محاولة التعرف على التفاعلات الحركة التاريخية بالمنطقة.
- تسليط الدراسة التطبيقية على الدولة الموحدية باعتبارها أنموذجاً، واضحا لتفاعل عناصر مختلفة مادية، وبشرية ومعنوية، أدت لقيام دولة كبرى يمكن تصنيفها في عداد ما يوصف بالإمبراطوريات.

إشكالية الدراسة: إن تاريخ بلاد المغرب قد كان وليد ما تحكمت في المكونات الرئيسية المشكلة لمساره العام، و لما كانت القبيلة أهم المكونات الاجتماعية، فقد يكون لها الدور البارز في كل ذلك، و من ثم طرحنا هذا الإشكال الذي يسعى للبحث في دور القبيلة المغربية و مدى إسهامها في صناعة التاريخ السياسي لبلاد المغرب الإسلامي

وتتدرج ضمن هذا الإشكال عدة تساؤلات: ما هي العناصر المفصلة للعلاقة بين السلطة والقبيلة؟ وما مدى تأثير ذلك على الحركة السياسية في بلاد المغرب؟ وفيما تمثل هذا التأثير؟ وهل تفاعلت هذه المؤثرات في الدولة الموحدية؟

منهج الدراسة: ولدراسة الموضوع اتبعنا المنهج التاريخي القائم على استجماع جملة من المعارف ذات الصلة، و من ثم محاولة استثمارها في بناء قاعدة معرفية حول الموضوع محل الدراسة، و هذا المنهج هو ما رأينا فيه ملائمة معتبرة لموضوع دراستنا باعتباراه موصلا للحقيقة التاريخية.

إضافة للمنهج التحليلي الذي لا بد منه للمساعدة في تحليل الظاهرة القبلية وتطبيق ذلك على دولة الموحدين، و إن هذا المنهج لأكثر من ضروري، إذ من غير المقبول أن يتم تناول هكذا دراسة من دون أن يكون العمدة فيها هو التحليل للظواهر و المعطيات التاريخية ، إذ أن من شأن اعتماده إيصالنا إلى جانب مهم من الحقيقة التاريخية التي نسعى للوصول إليها من خلال هذا العمل.

خطة العمل: ولمعالجة هذا الموضوع و محاولة البحث في أهم جوانب الإشكالية محل الدراسة فقد ارتأينا أن تكون خطة الموضوع مكونة من مقدمة ومدخل إلى جانب ثلاثة فصول وخاتمة.

حيث تناولنا في المقدمة تقديم للموضوع وموضوع الدراسة، تم بعد ذلك توضيح دواعي اختيار الموضوع الذاتية والموضوعية ، وطرحت الاشكالية بعد ذلك ، ثم تم التطرق للمنهج المتبع في الدراسة وخطة العمل ، اضافة الى أهم المصادر المراجع ، تناولنا بعد ذلك صعوبات العمل .

وتم التطرق في المدخل إلى جغرافية بلاد المغرب وتركيبتها القبلية، وفي الفصل الأول تم دراسة العصبية القبلية ودورها السياسي، حيث تضمن مفهوم القبلية، والعصبية القبلية. ثم دور العصبية في إقامة ثم إسقاط الكيانات السياسية، أما في الفصل الثاني إلى الوازع الديني ودوره السياسي حيث شمل دراسة الوازع الديني من وجهة نظر إسلامية ثم خلدونية، ودور إقامة ثم إسقاط الكيانات السياسية، أما الفصل الثالث فقد كان الجانب

التطبيقي وتمثل في دولة الموحدين أنموذجا حيث كان التطرق لأسس قيام دولة الموحدين من قبائل وأين تومرت ومنهجه الديني، ثم ابن تومرت بين الوازع الديني والعصبية القبلية، بعد ذلك ضعف العصبية القبلية والوازع الديني ودورهما في سقوط دولة الموحدين . وأنهينا بخاتمة خرجنا منها بأهم النتائج المستخلصة من العمل.

دراسة لأهم المصادر و المراجع: وقد اعتمدنا في عملنا هذا على عدة مصادر و مراجع، نذكر منها:

مقدمة ابن خلدون والتي قدمت لنا شرحا واسعا عن نظراته العصبية وفكرته حولها.

عبد الواحد المراكشي: الذي قدم لنا معلومات هامة تحوي جزءا كبيرا من الموضوعية عن دولة الموحدين خاصة الجانب التطبيقي والعصبي.

ويمكن الأخذ بحذر المصادر التي كتبها رجال البلاط الموحي ونذكر منها:

أبو بكر عمر الصنهاجي المعروف بالبيدق في كتابيه أخبار المهدي بن تومرت وكتاب المقتبس في معرفة الأنساب واللذين قد شرحا لسيرة ابن تومرت وأخباره واللذين طغت عليهما النزعة الذاتية باعتبار البيدق احد أصحاب ابن تومرت العشرة، وكتاب الحل الموشية في الأخبار المراكشية الذي كان بثلاث نسخ واحدة باسم مؤلف مجهول والثانية منسوبة للسان الدين الخطيب، والثالثة لابن سماك الغرناطي المالقي، والذي يبدو أنه صاحب الكتاب، حيث قدم أخبار مفصلة نوعا ما عن دولة الموحدين.

كما تم اعتماد مجموعة من المراجع كانت اللمسة الغالبة عليها اختصاصا بعلم الاجتماع، ونذكر منها:

كتاب العصبية القبلية لمحمد عابد الجابري، والذي شرح بالتفصيل نظرة ابن خلدون للعصبية القبلية مع نفاها أحيانا.

ونظرية الدولة في الفكر الخلدوني لعلي سعد الله والذي قدم شرحا وافيا حول فكرة الدولة عند ابن خلدون.

وكتاب التفكير الاجتماعي الخلدوني لإدريس خضير وهو الآخر شرح مقدمة ابن خلدون من مختلف جوانبها.

وساعدتنا أيضا مذكرة الماجستير حول العصبية القلبية، وأثرها بتطور العلاقات والنظم في المغرب الإسلامي لبوزياني الدراجي.

صعوبات العمل: أما عن الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث فنذكر منها:

- قلة المصادر المتخصصة في جانب العصبية، إذا استثنينا مقدمة ابن خلدون، والباقي كان عبارة عن مراجع تشرح أو تنقد فكرته.
- إضافة إلى صعوبة التعامل مع المادة المصدرية الخاصة بدولة الموحدين، إذ تغلب عليها الذاتية في سرد الأحداث.
- صعوبة التحليل خاصة وأن العمل يميل إلى اختصاص علم الاجتماع أكثر منه إلى التاريخ.

و رغم كل ذلك فإننا كلنا عزم و أمل أن نكون من خلال هذا العمل ، قد استطعنا أن نتلمس و لو بصورة سطحية، معالجتنا للإشكالية المطروحة، و التي نرى فيها جانبا مهما من التاريخ السياسي و الاجتماعي لبرد المغرب الإسلامي، و من ثم فهي بحاجة إلى المزيد من الجهد لتتناولها الأقلام بالدراسة التي نرى في عملنا هذا مجرد إثارة لها و وضع بعض النقاط على عدد من الحروف.

و أملنا أن يحظى هذا العمل بما ستسديه لجنة المناقشة الموقرة من ملاحظات و توجيهات نرى فيها زيادة لقيمة عملنا هذا، و ارتقاء به إلى مستوى المناقشة التي سيحظى بها.

المدخل

جغرافية بلاد المغرب وتركيبها القبلية

المدخل :

جغرافية بلاد المغرب و تركيبتها القبلية :

أطلق على بلاد المغرب منذ القديم عدة أسماء ، فقد أطلق الفينيقيون على السكان الذين سكنوا حول مدن أوتيكا¹ و قرطاجنة² اسم افري ، و أخذ عنهم اليونان هذه التسمية ، وتمتد هذه المنطقة من غرب مصر حتى المحيط الأطلسي ، و من أفري اشتق اسم افريقية³.

و تمتد حدود بلاد المغرب حسب الرعيني القيرواني (ت 11هـ/17م) . في كتابه المؤنس في أخبار افريقية و تونس من « سبب⁴ بحر النيل بالمشرق إلى البحر المحيط⁵ من ناحية المغرب»⁶.

و يرى ابن عذارى المراكشي(ت ق 7هـ/13م) أن حدود المغرب تمتد من ضفة النيل بالإسكندرية ، و التي تلي بلاد المغرب وحدها (أي بلاد المغرب) مدينة سلا⁷ و التي يحدها البحر المحيط⁸ ، أي المحيط الأطلسي اليوم.

¹ من المستوطنات الأولى للفينيقيين في شمالي تونس حاليا، و ذلك حوالي 1101 ق م ، ينظر محمد الصغير غانم : التوسع الفينيقي في غرب البحر الأبيض المتوسط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،(دط)، الجزائر ، 1992 ، ص 80 .

² أوقرت حدثت ، مدينة أسسها الفينيقيون شمالي شرق تونس سنة 814 ق م ، و تحولت لإحدى اكبر المدن التجارية المتوسطية . ينظر محمد العربي عقون : الاقتصاد و المجتمع في الشمال الافريقي القديم ، دار الهدى ،<دط>، الجزائر ، 2003 ، ص 11 .

³ عبد الواحد ذنون و آخرون : تاريخ المغرب العربي ، دار المدار الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 2004 ، ص 11

⁴ يبدو أنها : مصب .

⁵ هو المحيط الأطلسي ، و يطلق عليه اسم : البحر المحيط ، و بحر الظلمات .

⁶ أبو عبد الله محمد الرعيني القيرواني : المؤنس في أخبار إفريقيا و تونس ،تح محمد شمام،المكتبة العتيقة ،ط3،1387هـ،ص20.

⁷ هي مدينة تقع في المغرب الأقصى ضمن إقليم فاس و هي على المحيط الأطلسي ، حسن بن محمد الوزان الفاسي : وصف إفريقيا ، تر : محمد الاخضر ، محمدحجي ، دار الغرب الإسلامي،ط2،بيروت،1983م،ج1،ص207.

⁸ ابن عذراي المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، تح ، إ . ليفي بروفسال ، ج ، س كولان ، دار الثقافة ، ط3، بيروت ، 1983 ، م ، ج1 ، ص5-6 .

و يذكر صاحب كتاب مفاخر البربر أن حدود بلاد المغرب تمتد من بحر القلزم¹ شرقا إلى البحر المحيط غربا ، و من البحر الروم² شمالا إلى بلاد السودان³ جنوبا⁴ وعند ابن حوقل حوقل (ت 367هـ/977م) تمتد حدود بلاد المغرب من الإسكندرية شرقا إلى البحر المحيط غربا ، و من أرض غانة⁵ و أودغشت⁶ جنوبا إلى بحر الروم شمالا⁷ .
 أما حسن الوزان (ق 16م)، فيقسمها إلى ثلاثة أقسام: بلاد البربر و التي تمتد من جبل ميس⁸ ميس⁸ إلى أعمدة هرقل⁹ ، يحدها شمالا البحر المتوسط ، و القسم الثاني هو نومديا أو بلاد بلاد الجريد¹⁰ ، وهي التي تبتدي بالواحات¹¹ ، و تمتد غربا حتى المحيط الأطلسي ، و جنوبا حتى الصحراء ، و شمالا حتى سفح الأطلس الجنوبي ، و القسم الثالث هو : ليبيا التي تحدها الواحات شرقا ، و غربا المحيط و شمالا مدينة الواحات ، أما جنوبا فأرض السودان¹² .

و تجدر الإشارة إلى أن كلمة المغرب كمصطلح ربما ظهرت بشكل أكثر تداولاً بعد الفتنة بين علي بن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان¹³ ، حيث تم إطلاقه على القسم الغربي من العالم الإسلامي آنذاك ، بحيث كان يضم مصر و المناطق التابعة لها ، و الجزء المقابل له هو المشرق الذي يضم بلاد فارس و العراق إضافة إلى بلاد ما وراء النهر ، و بالنسبة

¹ هو البحر الأحمر على ما يعرف به.

² هو البحر المتوسط على ما يعرف به.

³ تقع بلاد السودان على المحيط الأطلسي جنوب برّ بلاد المغرب ، تقع على عرض القارة الإفريقية ، ينظر : أبو القاسم بن حوقل النصيبي ، **صورة الأرض** ، منشورات مكتبة الحياة ، (دط) لبنان ، 1995 ، ص 24.

⁴ مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، تح : عبد القادر بوباية ، دار أبي رقراق ، ط 1 ، (دب) 2005 ، ص 185

⁵ تقع في الجنوب الغربي من بلاد السودان و هي من أهم مدنها ،

ينظر: عبد الله الشريف الإدريسي : **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، 1414هـ/1994م، ص

⁶ مدينة في بلاد السودان تقع غرب شرق بلاد السودان قرب المحيط الأطلسي ، ينظر: ابن حوقل المصدر السابق ، ص 99 .

⁷ ابن حوقل المصدر نفسه ، ص 64- 65 .

⁸ يذكر الوزان أنها قصة تقع على بعد 300 ميل من الإسكندرية ، ينظر: الوزان المصدر السابق، ج 1، ص 28

⁹ هو مضيق جبل طارق .

¹⁰ و هي منطقة جنوب تونس، ينظر: المصدر نفسه ، ص 28 .

¹¹ و هي على بعد ست مراحل على بلاد النوبة ، و بها قبائل البربر من لواته تأتي بعدها بلاد فزان في ليبيا و بلاد الاد السودان ، ينظر: شهاب الدين ياقوت الحموي: **معجم البلدان** ، دار صادر ، (دط) ، بيروت ، (د ت) ،

ج 5 ، ص 342 .

¹² الوزان: المصدر السابق ، ج 1، ص 28 .

¹³ ظهرت هذه الفتنة بين علي و معاوية بسبب مسألة الخلافة ، أين آل الحكم في النهاية لبني أمية ، ينظر : أبي زيد أحمد بن سهل البلخي: **البدء و التاريخ**، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، بيروت ، 1417هـ/1997م ، ج 2 ، ص ص

236-234 .

لإطلاق هذا المصطلح تحديداً على مناطق شمال إفريقيا ككل أو كجزء منه فكان على الأرجح بعد القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي¹.

و تقسم بلاد المغرب (خاصة بعد عهد الدولة الموحدية)، إلى ثلاثة أقسام ، فالقسم الأول هو المغرب الأدنى الذي يشمل أفريقية ، و القسم الثاني و يشمل المغرب الأوسط الذي يمتد من بجاية حتى واد ملوية و قاعدته² مدينة تلمسان ، أما الجزء الثالث فهو المغرب المغرب الأقصى ، و الذي يمتد من وادي ملوية و جبال تازة³ حتى المحيط الأطلسي ، و هناك من يضيف إقليم برقة و طرابلس ، و الذي يدخل في التقسيم السابق ضمن المغرب الأدنى ، و قد شكل هذا الإقليم وحدة مستقلة في بداية الفتح الإسلامي ، مرتبطة بمصر أكثر منها من بلاد المغرب ، و هناك من يضم طرابلس دون برقة للمغرب الأدنى⁴.

أما سكان بلاد المغرب فقد أطلق عليهم المؤرخين أسم : البربر ، و قد فسّر ابن خلدون هذه الكلمة على أن إفريقيش بن قيس بن صيفي ، و هو أحد الملوك التبابعة⁵ لما غزى المغرب و رأى هذا الجيل من الأعاجم ، تعجب منها ، و قال لهم ما معناه ما أكثر ببررتكم ، و البربرة في اللغة العربية منها : اختلاط الأصوات غير المفهومة⁶ .
أما حسن الوزان فيرى أن كلمة البربر معناها الصحراء ، حيث أن الملك إفريقيش عندما تغلب عليه الآشوريون⁷ أو الإتيوليون⁸ هرب إلى مصر ، و لما وجد نفسه مطارداً فيها استشار قومه في الطريق الذي يسلكه أجابوه "البربر" أي الصحراء⁹.

¹ موسى لقبال : المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ط1 ، الجزائر ، 1981 ، صص 14-15 .

² قاعدة = مركز أو عاصمة البلد حسب ما هو متعارف عليه لدى المهتمين .

³ و هي مدينة تقع بين فاس و المحيط ، ينظر : الوزان : المصدر السابق ، ج1 ، ص 354 .

⁴ عبد الواحد ذو النون طه و آخرون : المرجع السابق ، صص 13-14 .

⁵ هم ملوك حمير ، و هم من العرب العاربة ، أطلق عليه هذا اللقب لأن قومه يتبعونه و يلتزمون بطاعته ، و تتابعه مفردة تبع ، و قد دامت مملكة حمير من 115 ق.م حتى 525م ، عطية القوسي : موسوعة الثقافة التاريخية و الأثرية جزيرة العرب قبل الإسلام ، دار الفكر العربي ، (دط) ، القاهرة ، 2006 ، ص 20 .

⁶ عبد الرحمان بن خلدون : تاريخ بن خلدون ، دار الكتب العلمية ، ط3 ، بيروت ، 2006 ، ج3 ، ص 104 .

⁷ هم سلالة من أصل عربي أو عراقي هاجرت إلى بلاد الرافدين ، و أسست مملكة قوية ، من أشهر ملوكها آشوربانيبال في 3000 ق.م إبراهيم العيد بشي : تاريخ مختصر لأهم حضارات الشرق القديمة ، دار هومة (دط) الجزائر ، 2007 ، ص 105 .

⁸ يبدو أنهم الأحباش حسب ما بدا لنا .

⁹ الوزان : المصدر السابق ، ج1 ، ص 34 .

أما عن أصل البربر فيرى ابن عبد الحكم أن البربر كانوا بفلسطين و كان ملكهم جالوت قتله داود عليه السلام ، حيث خرجوا من فلسطين ، و اتجهوا إلى المغرب و تفرقوا فيها¹.

أما الإدريسي (584هـ / 1188-1189م)، فيوافق ابن عبد الحكم في إرجاع أصلهم إلى جالوت بن ضريس بن جانا ، و هو أبو زناته ، و جنا بن لواء بن بر بن قيس بن إلياس بن مضر قتله النبي داود عليه السلام فرحل البربر إلى المغرب² . أما بن حزم (ت 456هـ / 1062-1063 م) فيتحفظ هذا الرأي و يشير إلى أنه لا علم للنسابين لابن قيس بن عيلان³، عيلان³، اسمه بر و لا طريق لهؤلاء إلى بلاد البربر⁴.

أما اليعقوبي(284 هـ / 1297-1298م). فله رأي آخر حيث أن البربر و الأفارقة هم « أولاد فارق بن بيصر بن حام بن نوح ، لما ملك إخوتهم بأرض مصر ، فأخذوا من العريش أسوان⁵ طولاً ، و من أيلة إلى برقة عرضاً ، خرجوا نحو المغرب فلما جاوزوا أرض برقة أخذوا البلاد ، فغلب كل قوم منهم على بلد حتى انتشروا بأرض المغرب⁶».

كما نسب البربر إلى أصل عربي ، فقد نسبوا أنفسهم أحيانا ، و نسبوا العرب الفاتحون أحيانا أخرى و اختلفوا في مصدر هجرتهم هل هي من مصر أم من بلاد الشام ، أما عن قحطانية البربر أو قيسيتهم فقد أذكاهما صراع العصبية القبلية⁷، وقد أشرنا كما سبق أن ابن حزم(ت

¹ ابن عبد الحكيم : فتوح مصر و المغرب ، تح : علي محمد عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، (د،ط) القاهرة ، 1425هـ/2004 ، ص197 .

² الإدريسي : المصدر السابق ، ص97 .

³ هو قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ، من عدنان جداهلي ، بنوه قبائل كثيرة منها هوازن ، سليم و عطفان ، ينظر : خير الدين الزركلي : الأعلام ، مطبعة دار الملايين ، ط3 ، بيروت ، 2002م ، ج6 ، ص59 .

⁴ و هو أول من مدن الصعيد من الديار المصرية ، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا، تح إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية (دط) الجزائر ، 1982 ، ص116 .

⁵ أبو محمد علي بن سعيد بن حزم الأندلسي : جمهرة أنساب العرب ، تح : إيلفي بروقبسال ، دار المعارف (دط) ، مصر، 1948م، ص106.

⁶ أحمد بن أبي يعقوب بن حعفر البعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، دار صادر - دار بيروت ، (دط)، بيروت ، 1579هـ/1960م مج1 ، ص190 .

⁷ بوزياني الدراجي : القبائل الأمازيغية ، دار الكتاب العربي ، (دط) الجزائر،(دت) ، ج1 ، ص ص 26-27

456هـ / 1062-1063 م). تحفظ على هذا الرأي حيث أنه لا يوجد ابن لقيس بن عيلان اسمه بر ، و لا طريق للحميريين¹ إلى بلاد المغرب².

أما بن خلدون (ت 808هـ/1406م) فيرجح الرأي القائل أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح عليه السلام و اسم أبيهم مازيغ³ ، و يوافق في هذا الرأي صاحب كتاب مفاخر البربر حيث يرجح نسبهم ، إلى مازيغ بن حام بن نوح عليه السلام⁴ ، و يبدو أنه الرأي الأرجح حيث أن القديس أو غسطين⁵ ينسب مجتمعه إلى الكنعانيين ، و هو ما أشير إليه في إحدى المؤرخة قبل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب بقرون⁶.

إنه و على الرغم من هذه الاختلافات بين النسابة ، فمن ردهم إلى العرب و اليمن بالتحريير حيث تفرقوا بعد السيل العرم ، و قيل من التبابعة ، و قيل من ولد النعمان حمير ، و قيل أنهم من فلسطين و أخرجهم ملوك الفرس⁷ إلا أنه يمكن القول أن أصول البربر تعود تعود إلى سلالات مختلفة (حامية – سامية – بحر أوسطية) تفاعلت و اندمجت مع مرور الزمن و كونت مجتمعا بربريا⁸.

و تنقسم قبائل البربر إلى فرعين كبيرين⁹ ، هما البتر و البرانس ، أما البتر فيعود نسبهم إلى إلى مادغيس و يلقب بالأبتر ، و لذلك سميت شعوبه بهذا الاسم ، و البرانس نسبة إلى برنس ، و هناك خلاف بين النسابين هل هما لأب واحد أم لا¹⁰ . و قد سرد ابن حزم (ت 456هـ / 1062-1063 م) . أباء و أجداد مادغيس الأبتر و لم يذكر أباء برنس ، غير أنه أشار

¹ الحميريين : هم بنو مرثدين بن زيد بن سبأ الأصغر ، و هم إحدى فروع العرب العاربة ، ينظر : ابن حزم : المصدر السابق ، ص 106 .

² نفسه ، ص 106 .

³ ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 105 .

⁴ مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، ص 185 .

⁵ هو أستاذ بلاغة و فيلسوف و أخلاق ، و هو من رجال الكنيسة اللاتينية ، ولد في نوميد و اعتنق المسيحية في شبابه ، عاش في روما ، و عاد الجزائر بعد أن أصبح كاهنا ، أباح استعمال العنف ضد الكنيسة الدوناتيية ، ينظر عادل خليفة : الفكر السياسي في العصور الوسطى و القديمة ، دار المنهل اللبناني ، ط 1 ، بيروت ، 1422هـ/2005م ، ص 191 .

⁶ بوزياني الدراجي : العصبية القبلية و أثرها على النظم و العلاقات في المغرب الإسلامي (مذكرة ماجستير غير منشورة ، جامعة الجزائر ، 1987م) ، ص ص 238-239 .

⁷ أبو العباس أحمد القلقشندي : نهاية الأدب في معرفة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، بيروت ، 1405 هـ / 1984 م ، ص 23 .

⁸ بوزيان الدراجي : العصبية ، ص 239 .

⁹ حسب الدراجي ، فقد جعل ابن خلدون فرع كل من هذين الفرعين بمرتبة الجذم ، و هو لغة القطع و هو قطع كل بحث في تسلسل الآباء و أسمائهم لنعذر الأمر بعد مرتبة الجذم ، الدراجي : العصبية ، ص 191 .

¹⁰ ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 105 .

إلى احتمال رجوعهما لأب واحد هو بر، حيث يقول «فولد بر مادغيس و برنس»¹ . و يرجعهما السلاوي (1315 هـ / 1897 م)، لأصل واحد فبرنس هو ابن برين مازيغ ، و مادغيس الأبتز هو أيضا ابن برين مازيغ².

أما البتر فقد غلب عليهم طابع البداوة ، فقد كانوا يقصدون المراعي الخصبة و المياه الكثيرة³ و البتر أربع قبائل كبيرة هم : أداسة و نفوسة و ضريسة ، و لوا الأكبر⁴ و هم نبوزحيك بن مادغيس⁵ ، و مواطنهم طرابلس و ما يقربها⁶ ، أما لواته فسكنت أرض أنطابلس و هي برقة ، أما نفوسه فسكنت سرت⁷ ، و عن قبيلة أداسة فقد دخلت في قبيلة هوارة البرنسية بحكم الجوار و الحلف⁸ ، أما ضريسة فمواطنهم المغرب الأقصى ، ثم تفرقوا بعد ذلك في المغربين الأوسط و الأدنى ، و هي التي تفرعت عنها قبيلة كومية المعروفة⁹ أما نفزاوة فمواطنها أرض طرابلس¹⁰ ، ولهذه القبائل عدة فروع يطول بنا ذكرها ، و هي و ان كانت من الأهمية بمكان، الا أنها ليست عضوية في صميم عملنا . و غلب الاستقرار على البرانس خاصة في الأماكن الساحلية و الجبلية للزراعة و تربية المواشي¹¹ ، و البرانس أربعة قبائل كبرى هي : لمطة هوارة ، صنهاجة ، و كزولة¹² أما لمطة فمواطنها جبال هكان أما هوارة فمواطنها طرابلس و ما يليها من برقة¹³ و صنهاجة موطنه المسيلة إلى الجزائر و المدينة و مليانة¹⁴ أما هكسورة فهي تسكن بمناطق المغرب الأقصى و جزولة موطنها بلاد السوس¹⁵ ، و للبرانس فروع كثيرة .

¹ ابن حزم : المصدر السابق ، ص 495 .

² أبو العباس بن خالد الناصري السلاوي : الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، تح : محمد عثمان ، دار الكتاب العلمية ، ط 1 ، بيروت ، (دت) ، مج 1 ، ص 35 .

³ لقبال : المرجع السابق ، ص 17 .

⁴ هم لواتة و نفزاوة ينظر الدراجي : العصبية ، ص 241 .

⁵ ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 17 .

⁶ نفسه ، ص 134 .

⁷ ابن عبد الحكيم : المصدر السابق ، ص 197 .

⁸ ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص ص 284-285 .

⁹ سنأتي على تعريفها بالتفصيل في الفصول الموالية .

¹⁰ ابن خلدون : المصدر نفسه ، ص 239 .

¹¹ ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص 197 .

¹² لقبال : المرجع السابق ، ص 17 .

¹³ ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 164 .

¹⁴ نفسه ، ص 166 .

¹⁵ نفسه ، ص 180 .

لقد اختلف المؤرخون في ضبط حدود بلا المغرب بشكل دقيق، لكن يمكن تحديدها اجمالاً من غرب النيل شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، و من البحر المتوسط شمالاً إلى الصحراء الكبرى جنوباً .

إن هذا الامتداد الكبير خلق تنوعاً في تركيبة بلاد المغرب القبلية، كما خلقت نوعاً من الاختلاف بين المؤرخين حول أصول هذه القبائل و هؤلاء السكان، هل هم من أصل عربي أو حامي، و لكن يمكن ترجيح رأي أنهم كنعانيون و هو الرأي الذي رجحه ابن خلدون (ت 808 هـ/1406م). و مع ذلك كان الاتفاق حول أنهم من جذمين كبيرين و هما بتر و برنس على الرغم من الاختلاف حول إرجاعها لأب واحد و هو بر .

إن هذا الامتداد و التنوع القبلي في بلاد المغرب خلق بيئة أدت إلى بروز خاصية أثرت فيما بعد على تشكيل الكيانات و النظم السياسية في بلاد المغرب .

الفصل الأول

العصية والكيانات السياسية

1- مفهوم القبيلة و العصية .

1-1- مفهوم القبيلة :

1-2- العصية:

2- العصية القبيلة ودورها السياسي :

1-2-1- العصية و الغلبة :

2-2- العصية و دورها السياسي :

3- ضعف العصية القبلية و أثره السياسي.

1-3- ضعف العصية :

3-2- أثر ضعف العصية سياسيا :

1- مفهوم القبيلة و العصبية .

1-1- مفهوم القبيلة :

المفهوم اللغوي:

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ

لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١﴾¹

وقد جاء في تفسير القرآن الكريم للقرطبي (ت 671هـ/1273م) أن الشعوب تعني رؤوس القبائل ، و سميت بذلك لتشعبهم و اجتماعهم مثل شعب أغصان الشجرة ، و الشعب معناه القبيلة العظمى ، و هو الأصل الذي تنسب له القبائل² ، و في تفسير ابن كثير(ت630هـ/1232-1233م)، جاء أن الشعوب هي بطون العجم ، و القبائل هي بطون العرب³ ، حيث أن العرب هم في الأساس عبارة عن قبائل متفرعة من جذر واحد هما عدنان و قحطان ، أما العجم فأصولهم غير صافية نسبياً⁴ ، أما في تفسير الطبري (310هـ/922-923م)، فقد ورد أن الشعوب هي النسب البعيد ، و القبائل هي النسب القريب، و أن الشعوب هي الأفخاذ والبطون والقبائل الكبيرة⁵، و تذكر المصادر أن تعريف القبيلة هي جماعة من الناس نسبوا إلى أب واحد⁶ ، و سميت قبيلة لتقابل الأنساب فيها ، و جمع القبيلة قبائل، و تسمى أيضا جماجم⁷ ، و جماجم العرب هي القبائل التي تجمع البطون⁸ ، و هي أيضا الجماعة التي تفوق الثلاثة⁹.

¹ سورة الحجرات : الآية 13.

² أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي : تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ، دار الشروق _ دار الشعب ، (دط) القاهرة ، (دت) ، ص1870.

³ الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس ، ط7، بيروت ، 1405هـ/1985م مج5، ص233.

⁴ عبد الغني شاکر الدوري : أهمية النسب عند العرب قبل الإسلام ، و في القرآن الكريم و السنة الشريفة ، دار عمار ، ط1 ، عمان (الأردن) 1428هـ/2008م ، ص60 .

⁵ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ، دار المعرفة (دط) ، بيروت ، 1407هـ/1987م ، ج19 ، ص200.

⁶ شهاب الدين أبو عمرو : القاموس الوافي ، دار الفكر للطباعة ، ط1 ، بيروت ، 1423هـ/2005م ، ص874

⁷ تسمى جماجم الرأس المتصلة ببعضها ، ينظر: شهاب الدين أبو عمرو : المصدر السابق ، ص874 .

⁸ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، المطبعة الأميرية، (دط)، القاهرة ، 1322هـ/1914م ، ج3، ص90.

⁹ محمد بن أبي بكر الرازي : مختار الصحاح ، دار الفكر للطباعة ، بيروت، (دت) ، ج3 ، ص90 .

اصطلاحاً :

القبيلة (Tripi) : هي عبارة عن تنظيم اجتماعي يحمي فيها الأفراد مجموع القبيلة ، و هي تحميمهم ، و هي تشكل بذلك تنظيماً سياسياً صغيراً يتحد أفرادها في سبيل البقاء¹، وينتمي وينتمي أفراد القبيلة إلى أصل واحد . و لكل قبيلة مجلس يكونه شيوخها، و لها رئيس يسمى الرئيس أو الشيخ ، أو الأمير أو السيد² . و عادة ما تكون هناك عوامل مشتركة بين سكان القبيلة مثل : الثقافة و اللغة و الأرض خاصة في المجتمعات البدوية³.

و تتكون في الغالب القبيلة من مجموعة من العشائر (Clons) ، والتي هي عبارة عن أصغر وحدة سياسية في القبيلة⁴ . و قد جاء ذكر كلمة عشيرة في القرآن الكريم ، حيث

يقول تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾⁵

و جاء في تفسير الطبري (310هـ/922-923م) أن العشيرة من القوم هم الأكثر قرابة⁶، و في تفسير ابن كثير (774هـ/1383-1384م). هم الأذنين إليه⁷، و عشيرته هي قريش و قيل بني عبد مناف⁸، و هذا الأخير تشترك في الجد الرابع فقط⁹. و بناء على ذلك ذلك فالعشيرة تعتمد على روابط القرابة¹⁰ و كانت العشيرة تسمى قديماً الحي¹¹، و هناك بعض المصادر التي تعرف العشيرة على أنها القبيلة¹².

¹ عبد الرحمان خليل إبراهيم : دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ط1 الجزائر ، 1971 ، ص225 .

² عبد الحكيم الكجي : موسوعة التاريخ الإسلامي ، دار أسامة ، (دط) عمان (الأردن) ، 2009 ، ص181

³ جاك لومبار : مدخل إلى الأثنولوجيا ، تر : حسن قبيسي ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، الدار البيضاء (المغرب) ، 1997 ، ص116 .

⁴ هشام يحي الملاح : الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1429هـ/2008م، ص233.

⁵ سورة الشعراء الآية214.

⁶ الطبري : المصدر السابق ، مج19، ص201.

⁷ ابن كثير : المصدر السابق ، مج5 ، ص233 .

⁸ القرطبي : المصدر السابق ، ص1703 .

⁹ هاشم يحي الملاح : المرجع السابق ، ص362 .

¹⁰ جاك لومبران : المرجع السابق ، ص117 .

¹¹ هاشم يحي الملاح : المرجع السابق ، ص362 .

¹² ينظر في ذلك محمد بن أبي بكر الرازي : المصدر السابق ، ص184 . شهاب الدين أبو عمرو : المصدر السابق ، ص776 ، محمود أحمد الزنجاني : تهذيب الصحاح ، تح : عبد السلام محمد هارون أحمد عبد الغفور عطاء ، دار المعارف ، (دط) مصر ، 1371هـ ، ج1، ص219.

و ينقسم المجتمع القبلي إلى ست طبقات منها الشعب الذي هو القسم الأول و يشمل مجموعة القبائل ، و سمي بذلك لأن القبائل تنتشعب منه ، ثم تأتي القبيلة، و هي الطبقة الثانية ، أما الطبقة الثالثة فهي العمارة ، و تشمل التفرعات الناتجة عن القبيلة ، و تعتبر بمثابة العنق و الصدر في جسم الإنسان ، ثم تأتي الطبقة الرابعة و هي البطن و هو التفرع الناتج عن القبيلة ، و مثال ذلك البربر بين بتر و برانس ، فهما بطنان ، و الطبقة الخامسة هي الفخذ المتفرع عن البطن ، أما السادسة فهي الفصيطة ، و التي تشمل التقارب الشديد في النسب¹. و هناك تقسيمات أخرى يطول شرحها .

إن هذه التنظيمات تقوم على أساس العصبية داخل الجماعات القبلية ، حيث تؤمن هذه التقسيمات حماية الفرد في هذه الجماعات ، و قد تشهد حالة من الصراع يؤدي أحيانا إلى الدفاع الذاتي الذي يؤدي بدوره إلى بناء أحلاف تقوم على العصبية².

وبناء عليه فإن بلاد المغرب لا يبداوا أنها كانت بمعزل عن هذا المناخ العام السائد ليس بعيد عنها إذ يشار إلى أن الحركة التاريخية لبلاد المغرب منذ القديم تكون ربما قد عرفت هذه الأنواع من التحالفات مما ولد الأعراف التي بنت الحياة الاجتماعية في إطار حماية المصالح المشتركة ، أو في إطار تغذية العصبية المختلفة³.

1-2- العصبية:

وردت لفظة العصبية في القرآن الكريم عدة مرات ، إذ يقول الله سبحانه و تعالى عن إخوة يوسف: ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ

مُبينٍ ﴾⁴ و قد جاء في تفسير ابن كثير (ت 774هـ/1383-1384م)، أن العصبية معناها الجماعة⁵ ، أما في تفسير الطبري (310هـ/922-923م) العصبية معناها الجماعة

¹ ينظر : القلقشندي : صبح الأعشى، ج3، ص ص 9-13 .

² جاك لومبران : المرجع السابق ، ص 92 .

³ محمد العربي العقون: المرجع السابق ، ص 167 .

⁴ سورة يوسف الآية 08.

⁵ ابن كثير: المصدر السابق ، مج3، ص 40 .

ذات العدد¹. أما في تفسير القرطبي (670هـ/1273م)، فقد ورد أن العصبية تعني الجماعة من الواحد إلى العشرة أو الخمسة عشر ، أو هي بين العشر و الأربعين².

و قال تعالى أيضا: ﴿ قَالُوا لَئِن أَكَلَهُ الذَّيْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَسِرُونَ ﴾³

ففي هذه الآية ورد معنى العصبية بما يشير إلى «الجماعة الحريصة على حفظ أخيه ويقال عصبه الرجل بنوه و قرابته لأبيه»⁴، كما يقال أن «العصبية نحو العشيرة»⁵. أما ابن ابن منظور (ت 360 هـ/1232 م) فيرى أن العصبية هي دعوة الرجل إلى نصره عصبته ، و تأليهه على من ظلمه سواء كان ظالما أو مظلوما⁶ ، و تعني العصبية أيضا «الحماية و المدافعة عن يلزمك أمره»⁷. لذلك ابن كثير (774هـ/1383-1384م) يفسر أن العصبية هي الجماعة لقول إخوة يوسف عليه السلام (ونحن عصبه). أي نحن جماعة⁸. أما ابن خلدون (808هـ/1406م) الذي يعرف على أنه من أهم من تعامل مع هذا الموضوع و كان له فضل الغوص فيه، فيربطها بالنسب و القرابة الدموية ، حيث أن الإنسان لديه يقوم بطبيعته بحماية أقاربه و ذويه لما لديه من حمية على أهله أرحامه ، و بذلك يهاب جانبهم⁹. و العصبية بذلك نوعان : خاصة و عامة . فالخاصة تتمثل فيمن يجب الدفاع عنهم بالطبيعة كالابن و الزوجة و العم و الخال و غيرهم¹⁰ ، و يكون النسب فيها قريبا و أكثر لحمة¹¹. أما العصبية العامة فتشمل الأصهار و الموالي و حتى بطون و أحياء القبيلة¹²، و يكون النسب فيها بعيدا مما يضعف التماسك و التلاحم بين أفراد العصبية الواحدة¹³.

¹ الطبري: المصدر السابق ، مج 19، ص 375.

² القرطبي : المصدر السابق ، ص 2347-2506.

³ سورة يوسف الآية 14.

⁴ محمود أحمد الزنجاني : المصدر السابق ، ص 9-13.

⁵ أحمد محمد المقري الفيومي : قاموس المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، دار الفكر ، ط 1 ، بيروت 1425-1426هـ/2005م ، ص 219 .

⁶ جمال الدين بن منظور: لسان العرب ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، (دط) القاهرة (دت) ، ج 2 ، ص 96

⁷ شهاب الدين أبو عمرو : المصدر السابق، ص 777 .

⁸ ابن كثير: المصدر السابق، مج 3، ص 13.

⁹ عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ، دار الفكر ، (دط)، بيروت ، 1427-1428هـ/2007م ، ص 96 .

¹⁰ إدريس خضير : التفكير الاجتماعي الخلدوني و علاقته ببعض النظريات الاجتماعية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، (دط) الجزائر ، 1983 ، ص 135 .

¹¹ أبو زياني الدراجي : العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية و تاريخية ، دار الكتاب العربي ، ط 1 الجزائر، 2003م، ص 135.

¹² إدريس خضير : المرجع السابق ، ص 135 .

¹³ أبو زياني الدراجي : العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية و تاريخية ، ص 171-175 .

و تعتبر العصبية في حقيقتها نتاج البداوة ، حيث أن الأحياء البدوية تلجأ إلى أبنائها المعروفين بالشجاعة للدفاع و الذود عنهم في حالة الخطر الخارجي ، و هذا لا يتحقق إلا إذا كانوا أهل عصبية و نسب واحد ، بينما الأحياء الحضرية تحميها أسوار الدولة و رجالها¹. كما أن وضع البداوة يفرض على الإنسان غريزة البقاء حيث تتضخم لديه مخاوف مخاوف الاستهداف و الخطر الخارجي²، مما قد يولد له نوعان من التوحش و الهمجية³، كما تقوم البداوة بحفظ الأنساب ، أما الحواضر فيحصل فيها الاختلاط ، بين مختلف الأقسام مما يؤدي إلى فساد الأنساب و بالتالي فساد العصبية⁴، أضف إلى ذلك أن شخصية الفرد تنصهر داخل الجماعة مما يولد الشعور الجماعي ، و يتضاعف هذا الشعور عند الخطر الخارجي⁵.

و قد أورد ابن خلدون (ت 808 هـ / 1406م) كلمات شارحة لكلمة العصبية⁶، قد لا تكون لازمة مثل : النعرة ، التعاضد ، التناصر ، الالتحام و الدفاع⁷.

و عليه فالعصبية معناها القدرة على المواجهة الجماعية و قد لا تكون العصبية بالضرورة نتاجا لرابطة النسب ، فقد تكون نتيجة المصالح المشتركة الدائمة للجماعات بحيث تكون مرتبطة بأمر المعاش⁸.

فالعصبية لهذا تنشئها البداوة ، و تقويها رابطة النسب ، و تغذيها رابطة البقاء ، و قوتها غير مرتبطة بكثرة العدد دائما⁹ بقدر ارتباطها بقوة الرابطة. و يرى البعض أن فكرة العصبية محصورة في المجتمعين العربي و البربري كلاهما على ما هو باد مجتمع بدوي بالأصالة¹⁰، أن انتسابه للبداوة أصل في ذات.

¹ ابن خلدون : المقدمة ، ص 141 .

² عشراتي سليمان : الشخصية الجزائرية الأرضية التاريخية و المحددات الحضرية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، (دط) الجزائر ، 2007 ، ص 227 .

³ ابن خلدون : المقدمة ، ص 142 .

⁴ ابن خلدون : المقدمة ، ص 167 .

⁵ محمد عابد الجابري : العصبية و الدولة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، طه ، بيروت ، 1994 ، ص 168

⁶ نفسه ، ص 167 .

⁷ ابن خلدون : المقدمة ، ص ص 141-142 .

⁸ محمد عابد الجابري : المرجع السابق ، ص ص 171-172 .

⁹ جورج لايبكا : السياسة و الدين عند ابن خلدون ، تر : شوقي الدويهي ، موسى و هبة ، دار الفارابي ، ط1 ، بيروت ، 1980 ، ص 199 .

¹⁰ عشراتي سليمان : المرجع السابق ، ص 221 .

2- العصبية القبلية ودورها السياسي :

1-2- العصبية و الغلبة :

يبدو للوهلة الأولى أن القبلية تشتمل على عصبية واحدة لكنها في الواقع عبارة عن مجموعة من العصبيات ، مثل : عصبيات العشائر و البيوت. و على الرغم من أن القبيلة تشترك في نسب عام واحد ، إلا أنه كلما ضاقت دائرة النسب زادت شدة العصبية¹، و مع وجود هذه العصبيات المختلفة لا بد من وجود عصبية أقوى من هذه العصبيات جميعاً²، حيث تقوم بتجميع الأفراد و تأليفهم لجعلهم عصبية واحدة³ ، إذ تلتحم العصبيات⁴ و تتعاون تتعاون من أجل المصلحة المشتركة داخل العصبية الكبرى⁵، التي تكون عبارة عن عصبيات من كافة العناصر تترأس أقواها باقي العصبيات التي تكون جميعها مشتركة في النسب العام مما يشكل عصبية واحدة ، و يجعل هذه العصبيات الصغيرة تقرر بالإذعان للعصبية الغالبة و تتبعها . و حتى إذا كان أحدهم لا يتبع النسب العام للعصائب الأخرى فهو يتبعها بالالتصاق ، و قد تتم له العصبية عن طريق الحلف و الولاء⁶.

إنه على الرغم من النسب يكون عادة عامل واحد داخل القبائل ، و قد يكون تفرقه من خلال تنافس العصبيات داخل القبيل الواحد في سبيل الرئاسة و الشرف⁷. و لا يمكن اعتبار النسب وحده عاملاً للوحدة أو حتى تفرقة القبائل أحياناً ، فهناك عوامل أخرى منها المصالح المشتركة التي توحد القبيلة إذا توحدت مصالح عصبياتها ، و تتنافر لتتنافرها . هذا التنافس قد يكون بين العصائب أو حتى بين الأفراد داخل العصائب المشكلة العصبية الموحدة في القبيلة الواحدة⁸.

¹ ابن خلدون : المقدمة ، ص144 .

² عبد الغني مغربي : الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون ، تر : محمد الشريف بن دالي حسن ، المؤسسة الوطنية الوطنية للكتاب ، (دط)، الجزائر ، 1986 ، ص155 .

³ علي سعد الله : نظرية الدولة في الفكر الخلدوني ، دار محب لاوي للنشر و التوزيع ، ط1، عمان (الأردن) ، 1424هـ/2003م ، ص90 .

⁴ عبد الغني مغربي: المرجع السابق ، ص155 .

⁵ محمد عابد الجابري : المرجع السابق ، ص173 .

⁶ ابن خلدون : المقدمة ، ص ص 144-145 .

⁷ إدريس خضير: المرجع السابق، ص136.

⁸ محمد عابد الجابري : المرجع السابق ، ص173 .

إن التحام العصبية المختلفة قد يدفع إلى إذابتها مما يزيد من شدة العصبية الكبرى ، ويزيدها قوة على قوتها¹ ، و على الرغم أن الغرباء عن القبلية يحاولون الانصهار داخل القبيلة ، إلا أن هناك نمم يرتبط مع القبيلة الجديدة عن طريق الحلف و الولاء ، و يبقى انتسابه لقبلية أو العصبية الأصلية ، و قبيلته الجديدة عن طريقته ، مما قد يؤدي إلى ازدواجية العصبية داخل القبيلة الواحدة لكن مع بقاء العصبية الأقوى في القبيلة² و عليه فالمجتمع القبلي يقوم على أساس التماسك الاجتماعي كون فيه العصبية قوة محركة لهذا المجتمع³ ، حيث تبني العصبية داخله على أساس التناصر و التعاضد أو حتى التنافس و التناحر⁴ .

و قد كانت بلاد المغرب أرضا خصبة لمختلف النماذج من هذه العصبية خاصة ، غدى ذلك وجود مصالح بين قبائل من أجل المعاش و البقاء ، و تنافر مصالح قبائل أخرى لذات الأسباب⁵ ، زد على ذلك أنه و كما يرى ابن خلدون (ت 808 هـ/1406م) فإن البلاد التي تحوي عديد من القبائل و العصبية قل أن تسنحكم فيه دولة أو عصبية⁶ . إنه و بقدر ما كانت العصبية القائمة داخل القبيل قوية، تكون قبيلتها قوية، بحيث تسود و تقود العصبية و القبائل الأخرى و تسعى لتشكيل دولة عن طريق منازعة السلطة⁷ . و هو ما سنحاول التطرق إليه في العنصر التالي.

2-2- العصبية و دورها السياسي :

تتطور الحياة الاجتماعية عبر مراحل من الأسرة إلى قيام السلطة⁸ ، فالتنظيم الاجتماعي الذي هو مهمة الدولة بالأساس يبدأ داخل الأسرة ، فهي تعتبر النموذج المبسط

¹ عبد الغني مغربي: المرجع السابق ، ص155.

² نفسه، ص152.

³ عبد الغني مغربي: المرجع السابق ، ص154 .

⁴ محمد عابد الجابري : المرجع السابق ، ص173 .

⁵ بوزياني دراجي : العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية و تاريخية ، ص102 .

⁶ ابن خلدون : المقدمة ، ص175 .

⁷ كلمة السلطة جاءت من الفعل تسلط ومعناها تحكم وتمكن وسيطر ، ينظر: شهاب الدين أبو عمرو: المصدر السابق، ص874. أحمد بن محمد المقرئ الفيومي: المرجع السابق، ص154.

⁸ إدريس خضير: المرجع السابق، ص100.

أو المصغر للسلطة¹ ، تتكون بعد ذلك العشيرة عن طريق اتحاد المجموعة من الأسرة خاصة إذا جمعت بينها رابطة الدم² .

و تكون مجموعة العشائر قبيلة يدفعها الشعور بالانتماء لأصل واحد إلى الإتحاد³، تنتزع بعد ذلك العصبية القوية داخل القبيلة إلى التغلب على العصائب الأخرى ، فإذا كان لها ذلك سارت في التغلب على عصبيات و قبائل أخرى⁴ ، فعندما يحصل ذلك تتضاعف قوتها و سيطرتها على تلك القبائل⁵، حيث تتوسع و تقاوم معارض القبائل الأخرى ، فإذا كان لها التغلب عليها تم الالتحام معها⁶، و قد تنظم قبائل أخرى عن طريق التحالف الذي قد يكون مصدره علاقات ودية أو نتيجة للمصاهرة ، أو حتى المصالح المشتركة⁷، تتجه بعد ذلك إلى تحقيق غايتها ، و هي الملك و السلطة⁸.

و يجب على العصبية المتغلبة على العصائب الأخرى أن تكون أقواها⁹ ، و يكون رئيسها صاحب سؤدد و شرف¹⁰ ، و لا بد أن تكون له قوة يستمد منها من عصبته الغالبة¹¹ ، و تكون سنده في الحكم¹² .

و قد يدعي الحاكم الشرف أو نسبا غير نسبه لتوطيد حكمه، و حدث هذا كثيرا في بلاد المغرب ، كادعاء زناته¹³ أنهم من العرب أو بني زيان¹⁴ بتلمسان أنهم من أبناء القاسم¹⁵

¹ روبرت ماكيفر : تكوين الدولة ، تر حسن صعب ، دار العلم للملايين ، ط1 ، بيروت ، 1984م ، ص153

² بوزياني الدراجي : العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية و تاريخية ، ص52 .

³ إدريس خضير : المرجع السابق ص100 .

⁴ علي سعد الله : المرجع السابق ، ص 90 .

⁵ نور الدين حقيقي : الخلد و نية العلوم الاجتماعية و أساس السلطة السياسية ، تر : إلياس خليل ، ديوان المطبوعات الجامعية ، (دط) ، وهران ، 1984 ، ص29 .

⁶ ابن خلدون : المقدمة ، ص153 .

⁷ إدريس خضير : المرجع السابق ، ص139 .

⁸ ابن خلدون : المقدمة ، ص 153 .

⁹ بوزياني الدراجي : العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية و تاريخية ، ص191 .

¹⁰ ابن خلدون : المقدمة ، ص152 .

¹¹ ابن خلدون: المقدمة ، ص 144 .

¹² إدريس خضير : المرجع السابق ، ص145 .

¹³ هي قبيلة تابعة لفرع البربر البتر ، و هي قبيلة رحالة ، و لها عدة فروع منها بني يفرن و مغراوة و غيرها ، ينظر محمد بن عميرة : دور زناته في الحركة المذهبية في المغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب ، (دط) الجزائر ، 1984م ، ص ص 17-18 .

¹⁴ الدولة الزيانية هي دولة بني عبد الواد المنتصبة إلى قبيلة زناته ، ظهرت دولتهم بعد الموحدين حوالي 627هـ، و كانت نهايتها في 962هـ/1554م . ينظر: إسماعيل بن الأحمر: تاريخ الدولة الزيانية ، مكتبة الثقافية الدينية ، بورسعيد، ط2001م، صص55-60.

¹⁵ هو القاسم بن إدريس بن عبد الله ، أسس والده دولة الأدارسة في المغرب الأقصى ، بعد فراره من العباسيين

بن إدريس¹، كما يجب أن تتوفر في رئيس القبيلة شروط أخلاقية²، مثل الكرم و العفو و إكرام الضيف و الصبر على المكاره³، و غيرها من الصفات الحميدة ، و أن يكون صاحب صاحب مال و جاه⁴، و على هذا فإن السلطة ترجع دائما إلى الأسرة القوية من القبيلة القوية⁵.

بعد هذا التغلب تبدأ العصبية بمنازعة السلطة القائمة بغرض الاستيلاء على الملك⁶، و هذه هي المرحلة الأولى أو الطور الأول من الدولة الذي أشار إليه ابن خلدون ، و هو الطور الذي تبقى فيه العصبية قوية ، و يكون جانب الدولة فيها مهابا ؛ و هو طور البداوة و الخشونة⁷.

تدخل الدولة بعد ذلك الطور الثاني و الذي هو طور الحضارة و التفوق بحيث يتوافق ذلك مع تنامي سلطاتها ، و توسع رقعتها بفضل سيطرتها على أراضي القبائل التي انضمت أو ضمت لها ، مع سعة المعاش بفضل الحصول على الغنائم⁸، مما يؤدي إلى كثرة كثرة المال و النعمة فيتجاوزون ضرورات العيش ، و يتطلعون إلى الكماليات⁹، و يؤثرون الدعة و الكسل ، و يتجهون إلى مظاهر الملك مثل تشييد المباني و غيرها¹⁰ مما يؤشر لمبلغ الرفاه المادي. كما تتجه الدولة إلى تحسين الأحوال المادية و رفع مستوى معيشة السكان و تقييم الصناعات لتوفير جو الرفعة و النعيم كما يزيد تبعا لذلك عدد سكانها ، و تزداد قوة و توسعا مما يقوي العصبية¹¹.

إن هذا الجيل و على الرغم من كثرة عدده و بالتالي عصابه ، إلا أن ميوله للدعة و السكون يؤدي مع الوقت إلى ضعف العصبية مع بقائها متماسكة بعض الشيء ، و ذلك راجع

¹ ابن خلدون : المقدمة ، ص ص 145-146.

² بوزياني الدراجي : العصبية القبلية ، ص 155 .

³ ابن خلدون : المقدمة ، ص 156 .

⁴ بوزياني الدراجي : العصبية القبلية ، ص 115 .

⁵ إدريس خضير : المرجع السابق ، ص 152.

⁶ نور الدين حقيقي : المرجع السابق ، ص 30 .

⁷ ابن خلدون : المقدمة ، ص 182 .

⁸ نور الدين حقيقي : المرجع السابق ، ص ص 30-33 .

⁹ ابن خلدون : المقدمة ، ص 182 .

¹⁰ ابن خلدون : المقدمة ، ص 179 .

¹¹ إدريس خضير : المرجع السابق ، ص 152.

لاحتكاكهم مع الجيل الأول ، و هو الجيل البدوي الذي وصل إلى السلطة عن طريق العصبية¹.

من خلال هذا الطرح نجد أن السلطة إنما هي على ما يبدو من خلال السياق العام نتاج لحاجة اجتماعية فرضها التجمع الإنساني ، تنبثق عن طريق القوة و الغلبة الصادرة عن رئيس الأسرة القوية في العشيرة القوية داخل القبيلة القوية²، ثم تقيم السلطة التي يكون فيها الجيل الأول بدويا في الغالب، مستندا الى قوته العصبية ، هذه العصبية التي تبدأ بالضعف في الجيل الثاني بالتوجه للدعة و السكون و الترف³.

و لعل هذا حسب ما يبدو لنا هو أساس ما تقوم عليه النظرية الخلدونية ، التي من الواضح أنها تركز على ملاحظة العديد من التحولات ، التي تكون قد عرفتها شعوب و كيانات مختلفة ، جعلت ابن خلدون (ت 808هـ/1406م) يصل إلى استخلاص هذه النتائج و الرؤى ، التي قدم من خلالها تصوير المظهر بما يكون عليه حال الكيانات السياسية ، و علاقتها بالحضور القبلي و العصبي .

3- ضعف العصبية القبلية و أثره السياسي.

3-1- ضعف العصبية :

بعد أن تمر العصبية بمرحلة القوة و بناء الدولة ، تبدأ بالضعف ، و من أهم العوامل المضعفة للعصبية عند ابن خلدون (ت 808هـ/1406م) هو حصول الترف ، و هو الانتقال من خشونة العيش في البداوة إلى رفته في المأكل و الملابس و غيرها ، و هذا ما يؤدي إلى الراحة و السكون بين الرعية و خاصة الحاشية ، و ذلك بالانغماس في ملذات العيش فتكثر بذلك عوائد الملك و نفقاته على أعطيائه⁴، و هذا ما يؤدي تدريجيا إلى فقدان عهد البداوة و الخشونة و يضعف دافع الحماية و المدافعة على الدولة ، و يظهر هذا جليا لدى جند الدولة الذي كان يدافع عنها من منطلق عصبية ، فإذا أضعفت هذه الأخيرة ، صار يظن أن الدولة كانت تستأجره لحمايتها⁵.

¹ ابن خلدون: المقدمة ، ص 187.

² بوزياني الدراجي ، العصبية القبلية ، ص 116 .

³ ابن خلدون : المقدمة ، ص 187 .

⁴ ابن خلدون: المقدمة ، ص ص 178-179.

⁵ نفسه، ص ص 181-182.

وما نستطيع الوقوف عليه أنه لا يمكن القيام بواجب الدفاع إلا بالحصول على المال، و يتلاشى عنده الاستبسال في ذلك.

هذه المرحلة التي يعود إليها فساد الحكم و الحاشية المعتمدة عليها يؤدي إلى الاستغناء عن جند العصبية بسبب ضعفه و بداية الاستعانة بالمرتزقة من الجند ، مما يضاعف حجم النفقات فتلجأ دولة حينئذ لفرض الضرائب¹، و ذلك لتغطية نفقات الخزينة المتزايدة ، و هذا يؤدي إلى إنهاك الدولة²، فيبدوا الضعف جليا على مختلف المجالات الحياة فيها ، فيلجأ رجال الدولة لتغطية ضعفهم إلى التظاهر على الناس بمظاهر الأبهة و القوة على الرغم من حاجتهم للحماية مثل النساء و الأطفال، و هذا حسب رأي بن خلدون³ . كما أن إصدار الأوامر في حق الرعية بهدف العقاب أو التأديب يؤدي إلى كسر شوكة المقاومة فيهم ، مما يدفعهم للذل و يبعث في أنفسهم الخضوع و قبول الاضطهاد⁴، و هذا أيضا عامل من عوامل ضعف العصبية على ما يبدو .

و من جانب آخر يرى البعض أن العصبية لا تحقق شيئا في ظل العمران الحضري⁵ . زيادة على ذلك يرى ابن خلدون (ت 808 هـ/1406م) أن استقرار الملك أي الحكم و السلطان ، أو بلغة الحاضر النظام السياسي القائم، يؤدي إلى ابتعاد الحاكم عن رعيته و ذلك لحجرة من طرف القائمين عن الدولة ، و يحدث ذلك لأبنائه من بعده ، و هذا يؤدي لاستبداد القائمين خاصة إذا كان الملك صبيا أو ضعيف الشخصية وهذا حتما يؤدي إلى استبداد الملك⁶ ، و تتحول المعاملة بين الحاكم و رعيته إلى الخشونة و القوة ، فيتنكر لأهل عصبيته، خاصة إذا أحس منهم منازعته على الحكم ، و بذلك تفسد عصبيته التي أقام عليها ملكه⁷

¹ محمد عابد الجابري : المرجع السابق ، ص 191.

² بوزياني دراجي : العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية و تاريخية ، ص 211.

³ ابن خلدون : المقدمة ، ص 182.

⁴ بوزياني دراجي : العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية و تاريخية ، ص 212.

⁵ نور الدين الحقيقي : المرجع السابق ، ص 30.

⁶ ابن خلدون : المقدمة ، ص ص 196-197 .

⁷ بوزياني دراجي : العصبية القبلية ص 129.

و ما يبدو لنا هو أن هذه المظاهر إنما تنتج عن الخلل بين الحاكم و الرعية نتيجة مظاهر الحضارة المؤدية تدريجيا إلى ابتعاد أهل العصبية عن الحاكم مما يضعف الدولة ، فإذا كانت هذه الأخيرة قامت على العصبية ، فمن المؤكد أن ضعفها سيؤدي إلى ضعف الدولة و انهيارها تدريجيا ، و هذا ما سنحاول معالجته في العنصر الموالي .

3-2- أثر ضعف العصبية سياسيا :

تعتبر العصبية هي السند الأكبر للحاكم ، لذلك فقوتها تحافظ على السلطة ، و ضعفها أو فقدانها يؤدي إلى انهيارها¹.

فعند إصابتها بالضعف تتأثر السلطة لذلك تأثرا مباشرا ، و ذلك بسبب سيطرة و انفراد أصحاب السلطة بالملك ، فيملكون المال و الجاه و يضطهدون الرعية ، إضافة إلى عدم إشراكهم في السلطة و خاصة أهل العصبية²، و هذا ما يفتح باب التفرقة و النزاع بين السلطة و الجماعات ، و بين الجماعات بعضها في بعض، و يدفعهم هذا إلى التخلي عن التعاون مع الحاكم و مناصرته ، و يصبح كل فرد يهدف إلى تحقيق مصالحه و أغراضه الخاصة ، إذ أن هذا يؤدي حتما إلى القضاء على و حدة الجماعة و تماسكها³.

و يرى ابن خلدون(ت808هـ/1406م) ، أنه عند ابتعاد الحاكم عن عصبية يلجأ إلى من سماهم بالموالي و المصطنعين ، مما يؤدي إلى انتشار روح الفساد و انحلال مؤسسات الدولة ، و عدم الحرص على مصالحها ، و هذا من منطلق عدم انتمائهم لعصبية الدولة هذه الأخيرة التي تدفعهم إلى الحرص على مصالحها⁴.

إن السعي وراء تغطية نفقات الدولة المتزايدة لتغطية ترف الحاشية و أجور المرتزقة و المستأجرين لحمايتها يقود إل فرض الضرائب و الجبايات على الرعية لتغطية هذه النفقات مما ينتج عنها ردود فعل الطبقة المضطهدة التي تعمل على كسر الاستبداد و الظلم⁵، على شكل ثورات تضعف عصبية الحاكم ، و تستغل العصبيات الأخرى هذه الثورات ، و تتكالب العصبيات الخارجية على الدولة ، مما يؤدي إلى إنهاكها و أحيانا حتى سقوطها⁶

¹ إدريس خضير : المرجع السابق ، ص145.

² علي سعد الله : المرجع السابق ، ص105.

³ نفسه ، ص152.

⁴ بوزياني دراجي : العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية و تاريخية ، ص08.

⁵ محمد عابد الجابري : المرجع السابق ، ص191.

⁶ بوزياني دراجي : العصبية القبلية ص ص 151-152.

و يرى أيضا ابن خلدون (ت808هـ/1406م) ، أن الدولة عندما تصل إلى حد من الاتساع تتوقف عنده لأن أهل العصبية قد تم توزيعهم على مخلف أقسام الدولة كموظفين و غيرهم ، و ذلك يؤدي إلى نفاذهم عند الوصول لنطاق معين ، فإذا زادت عن ذلك فإن ما تبقى للدولة من خاصية في المركز لن تستطيع توزيعه على باقي المناطق الأخرى و ذلك لحماية¹ ، كما يؤدي هذا الأمر إلى تفرق عصبية الدولة يفقدها قوتها و هي الأساس الذي قامت عليه الدولة².

إن هذه العوامل و غيرها تقود إلى التحول في الإعتماد على أهل العصبية التي قامت عليها الدولة نتيجة الحاجة لمزيد من رجال الدولة ، أو إبعادها خوفا من منازعة الحاكم على حكمه ، مما قد يدفعها إلى التمرد والقيام بالثورة لمنازعة الحكم الذي أسسته ثم يتم إبعادها عنه ، و هذا ما يؤدي إلى عدم استقرار الكيان السياسي³ ، بل إن ما نستطيع قوله إنه ربما قد يتجاوز ذلك إلى إضعاف هذا الكيان وربما توجيه مسار قوته لموجهة تلك الثورات أو هو ما قد يكون عاملا لا نهائيا الدولة واستنزاف قدراتها المادية و إضعافه عند توجيه قوته لمحاربة هذه الثورات ، و ينهك هذه الدولة ماديا .

تعتبر القبيلة كظواهر اجتماعية و تاريخية و سياسية ظاهرة محركة للتاريخ في بلاد المغرب خاصة حيث تقيم و تسقط دول في حركة مستمرة شكلت الصورة السياسية لهذه المنطقة عبر مراحل مختلفة من تاريخها⁴

من خلال ما تم التعرف إليه، فإنه يمكننا الاجتهاد في التوصل إلى ما يلي ذكره:

أنه لا يمكن اعتبار القبيلة في بلاد المغرب الإسلامي نتاجا للعصر الوسيط بل هي جذور ، ضاربة في التاريخ ، شكلت حركة تاريخية ولدت ظاهرة اجتماعية عززها التضامن و تراكم التجارب خاصة في الحياة البدوية ، و أنتجت ما يعرف بالعصبية القبلية التي كانت القوة الدفاعية و الهجومية للقبيلة فكانتا بمثابة صمام أمان لها .

و يتجاوز طموح القبيلة و عصبيتها إلى محاولة تحقيق سلطة أو ما سماه ابن خلدون(ت808هـ/1406م) بالملك ، و ما أوصلت هذه العصبية القبلية إلى ملك تم الإعتماد

¹ ابن خلدون : المقدمة ، ص 178 .

² إدريس خضر : المرجع السابق ، ص 151.

³ نفسه ، ص 154.

⁴ بوزياني دراجي : ، ص ص 265-266.

على عصائب أخرى و التخلي عنها تدريجيا خوفا من منازعة هذا الملك ، و قد يتم إضعافها عن طريق تفريقه لحراسة الدولة في مختلف أراضيها.

و يؤدي ضعف العصبية إلى نقل الدولة تدريجيا إلى الضعف ثم الإضمحلال خاصة مع انغماس الطبقة الحاكمة في الترف و النعيم .

إن هذا الضعف يقود تدريجيا ، و ما إن تبدأ الدولة بالأفول حتى يسطع نجم دولة أخرى بدأت تنتقل من دور البداوة إلى طور الحضارة ، و تمر بمراحل البداوة و قوة العصبية ثم الحضارة و بداية ضعف ثم المرحلة الثالثة و هي مرحلة ضعف و انهيار العصبية المؤدي إلى السقوط وهكذا دواليك يشكل العامل العصبي سيرورة تاريخية ، حيث يصنع الدولة ، ثم يطيح بها إذا فقدته و كل هذا شهدته بلاد المغرب الإسلامي فمن سلطة مغراوة إلى صنهاجة إلى مصمودة ثم مصمودة ... الخ .

هذا و يمكن القول أن العصبية و حدها لا تقيم و لا تسقط الدول ، فهناك داعم للعصبية و هو العامل الديني و هو الذي سنحاول طرحه في الفصل التالي .

الفصل الثالث

دولة الموحدين: الحضور العصبي والوازع الديني

1-أسس قيام دولة الموحدين

1-1- قبائل الموحدين:

1-2- أبن تومرت ومنهجه الديني:

2- دولة الموحدين بين العصبية القبلية و الوازع الديني.

1-2- ابن تومرت بين المذهب الديني والعصبية القبلية:

2-2- عبد المؤمن بن علي وإقامة الدولة الموحدية

3- ضعف العصبية القبلية والوازع الديني وسقوط دولة الموحدين

1-3- ضعف العصبية القبلية وسقوط دولة الموحدين

2-3- أثر ضعف الوازع الديني في سقوط دولة الموحدين

1: أسس قيام دولة الموحدين::

1-1 قبائل الموحدين: تأسست دولة المرابطين (462-541هـ/1070-1147م) بفضل جهود قبيلة لمتونة¹، وغيرها من بطون صنهاجة²، واعتمدت على الوازع الديني من خلال الدعوة للجهاد في سبيل الله وغيرها، وبينما كانت دولة المرابطين في أوج قوتها أصطدمت بقوة دينية ناشئة استمدت قوتها من عدة قبائل، أبرزها قبائل المصامدة³. والمصامدة هم بني مصمود بن يونس بن بربر⁴، وهم من أكبر قبائل البربر، وأكثرهم عدداً⁵، وتتميز هذه القبائل أن وجودها منحصر في القسم الغربي من المغرب الأقصى، وتعتمد على الزراعة كمصدر لرزقها، وتبني مساكنها بالطوب والأحجار وتمتد مواطنها الأصلية من بلاد الريف⁶ إلى المحيط الأطلسي ومن جبال الأطلس الأوسط إلى سجلماسة جنوب المغرب الأقصى⁷.

ومن قبائل المصامدة الذين قامت على كواهلهم دولة الموحدين بالأساس سبع قبائل، وهم: هرغة، وهي قبيلة قليلة العدد،⁸ ينتسب إليها محمد بن تومرت⁹، وقد قامت بالدعوة له أيما قيام، ذلك بحكم قرابتهم منه، وتعصبهم لأمره¹⁰، والقبيلة الثانية هي كومية¹¹، ومنها عبد المؤمن بن علي¹²، وهي قبيلة كبيرة العدد، متفرعة الشعوب، يعيشون على الزراعة

¹ يحيى بن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، (دط)، الجزائر، 1400هـ/1980م، ج1، ص170.

² هي إحدى قبائل البربر، ويختلف النسابون في رد أصلها إلى البرانس، أو حتى أصل غربي، ولها بطون كثيرة منها مسوفة، وبمتونة، ويذكر بعض الناسيين أن لها سبعون بطناً، ينظر بن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ص 179-180.

³ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، مطبعة المدني، ط2، القاهرة، 1990م، ص157-158.

⁴ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ص245.

⁵ القلقشدي: صبح الأعشى، ج3، ص234.

⁶ أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (وهو جزء من كتاب المسالك والممالك)، دار الكتاب الإسلامي، (دط)، القاهرة، (دت)، ص108.

⁷ جمال طه: الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء لدينا لطباعة والنشر، ط1، الاسكندرية، 2004، ص ص 49-50.

⁸ أبو محمد عبد الواحد بن علي المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 1462هـ/2006م، ص245.

⁹ سيأتي تعريفه بالتفصيل في العناصر الموالية.

¹⁰ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص317.

¹¹ تعرف قديماً بصطفورة، نفسه، ص149.

¹² سيأتي تعريفه بالتفصيل في العناصر الموالية.

ورعي الغنم، ولهم أسواق يبيعون فيها اللبن والحطب والمتاع الرديء¹، وموطنهم تلمسان بالمغرب الأوسط، وقد عظم شأن هؤلاء بعد اتباع دعوة المهدي بن تومرت عن طريق عبد المؤمن بن علي²، والقبيلة الأخرى هم أهل تينمل³، وهم عدة قبائل يجمعهم أسم المكان⁴، وقد احتضنوا هم الآخرين دعوة المهدي واستولوا على أجزاء الدولة، لكن بقية المصامدة تغلبوا عليهم بعد ذلك⁵.

أما القبيلة الرابعة فهي هنتاته، وهي قبيلة كبيرة، والخامسة هي جنفيسة، وهي كثيرة العدد منيعة الجانب، ولغتها من أجود اللغات، كما استجلب الموحدون قبائل منهاجة الذين يمتد وطنهم من النهر الأعظم بجمال صنهاجة، وتنتهي عند نهر أم الربيع بالمغرب الأقصى⁶، أما هسكورة فهم أكبر قبائل المصامدة، وهم أهل بدو، حتى أنهم لم يخالطوا الموحيدين في فترة الترف والنعيم، وكانت لهم بين الموحيدين مكانة واعتزاز كبير⁷. وهناك قبائل أخرى لكن لم يكن لها نفس الدور وهي: هنتاة، كدميو، ركداكة، وريكة، هزميرة، دكالة، حاحة، هيلانة، وتامسنا⁸، وبرغواطة المندثرة⁹، هذا بالإضافة إلى قبائل أخرى يسميها الموحدون القبائل، وحد بلادهم أول بلاد السودان¹⁰. وهذا يعني أن استقرارهم في تلك المناطق الصحراوية الواسعة مما يسمح لهم بحرية الحركة. ولم يقتصر سكنى المصامدة على المغرب الأقصى، إذ امتد حتى برقة وقد قامت دولة الموحيدين على كواهل مصامدة¹¹، وقد تجاوزت هذه القبائل، وامتزجت مع بعضها، أو حتى

¹ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 245.

² ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص 149.

³ وتكتب تينمال ويتنمل وتنمل، تقع على بعد كلم واحد على طريق مراكش، ويوجد بها قبر المهدي بن تومرت، ينظر: أبو القاسم محمد بن أبي العلا محمد بن سماك المالقي الغرناطي: الخلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح، عبد القادر بوبابة، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 2010م، ص 183.

⁴ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 245.

⁵ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ص 317.

⁶ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 245.

⁷ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ص 309.

⁸ جمال طه: المرجع السابق، ص 50.

⁹ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص 245.

¹⁰ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 245.

¹¹ أبو عبيد الله البكري: المصدر السابق، ص 108.

مع القبائل الأخرى مثل دكالة¹ والتي تعربت على يد الهلاليين²، وكانت لها عناصر من صنهاجة، ويمتاز المجتمع المصمودي بميزات نذكر منها التعاون الجماعي، احترام الأعراف، والقوانين التي كان مصدرها العصبية والروح الجماعية وتكيفها مع الحضارة³، وهو ما سينتج عنه حضورهم المتميز على مستوى الحركة التاريخية للمنطقة.

وقد شهدت القبائل المصمودية هجرة كبيرة إلى المدن بعد قيام دولة الموحدين، بحيث كانت الهجرة إلى العاصمة مراكش⁴ وفاس، وغيرها من المدن، كهجرة قبيلة هزميرة إلى فاس، بينما لم ترحل قبائل أخرى مكانها مثل: يتنمل وهرغة مكانها إلا نادراً⁵. وهكذا يتضح أن المصامدة مجموعة كبيرة من القبائل جمعها اسم واحد، استطاعت أن تشكل بعد ذلك قوة مكنتها من تأسيس كيان سياسي، توحدت من خلاله بلاد المغرب، وهو ما سنحاول دراسته في العنصر التالي.

2 - 1 - ابن تومرت ومنهجه الديني:

اختلف الباحثون في بسبب وتاريخ ميلاد ابن تومرت، ويشار إلى أنه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن سفيان بن جابر بن يحيى بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن العلي بن أبي طالب رضي الله عنه⁶، و عنه⁶، وقيل هو محمد بن وكليد بن يامصل بن جمزة بن عيسى بن عبيد الله بن إدريس بن

¹ وهي إحدى القبائل البربرية، تقع قرب المحيط الأطلسي شمال المغرب الأقصى، ينظر: الشريف الإدريسي: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تح، اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، (دط)، الجزائر، 1983، ص143.

² الهلاليين يعودا صلهم إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن حصفة بن عيلان بن مضر بن نزار بن عدنان، ينظر: نقي الدين أحمد بن علي المقريري: البيان والإعراب عمابارض مصر من الإعراب، تح: عبد الحميد بدين، عالم الكتب، القاهرة، ط1961، ص28.

³ يبدو أن صفة الحضارة كانت الهدف الذي تريد جل القبائل الوصول إليه، وهذا موجوده في المجتمع المصمودي.

⁴ مدينة كبيرة تقع شرق المغرب الأقصى، كانت عاصمة المرابطين، ثم صارت للموحدين. ينظر: زكرياء بن محمد القزوني، آثار البلاد وأخبار العباد، دت، دار صادر، دط، بيروت، 1998، ص57.

⁵ ابراهيم حركات: المغرب العربي عبر التاريخ، دار الرشد الحديث، دط، الدار البيضاء، دت، ج1، ص246.

⁶ مؤلف أندلسي من القرن الثامن الهجري: الحلل الموشيه في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشد الحديث، ط1، الدار البيضاء، 1399هـ/1979م، ص103. ويذكر نسبه هذا: أبو العباس شمس الدين بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، دط، بيروت، دت، مج5، ص45. شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب، الأنطاوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1406هـ/1986م، ج19، ص553. أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماطو، المكتبة العتيقة، ط2، تونس، 1966م، ص3.

عبد الله بن حسن بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم¹، ويؤكد ابن الأثير (ت630هـ/1232-1233م) النسب العلوي الحسنى لأبن تومرت²، واتهمه البعض بإدعاء النسب الشريف، وينفيه عنه نفيًا قاطعاً³، ويرى البعض أن أصله بربري فهو: محمد بن تومرت بن تطاوين بن سافلا بن مسيغون بن أيكليدس بن خالد⁴، والملاحظ أن هذا النسب الشريف سيكون له على ما يبدو أثره السياسي فيما بعد.

ومحمد بن تومرت من أهل السوس⁵، ولد بمكان يدعى أيجلي أو وارغن من قبيلة هرغة، ويعرف قومه فيها بـ "ايسر عيس" ومعناها: الشرفاء بلسان المصامدة⁶، وكما وجد الاختلاف الاختلاف في نسبه وجد أيضاً في تاريخ ميلاده، فقبل (491 هـ) وأيضاً (484 هـ) وحتى (486 هـ)⁷، ويمكن حصر تاريخ مولده بين (470هـ/1077م - 1078م) و (480 هـ/1087م-1088م)⁸.

نشأ ابن تومرت في منطقة السوس⁹ بدأ رحلته في طلب العلم بانتقاله إلى الأندلس، وأخذ العلم بقرطبة، ومنها رحل إلى المشرق بحراً، ونزل بالإسكندرية في مصر، أدى بعد ذلك فريضة الحج، ورحل إلى العراق حيث أقام ببغداد¹⁰، أين التقى بالإمام الغزالي¹¹، وتمكن محمد بن تومرت من تحصيل علوم عديدة في الكلام والأصول، وقد اتصف بالورع والنسك والشجاعة وعمق الفكر، إضافة إلى الفصاحة والجرأة في الأمر بالمعروف والنهي

¹ أبو بكر الصنهاجي البيدق: *المقتبس من كتاب الإنسان في معرفة الأصحاب*، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور، (دط) الرباط، 1971م، ص12.

² أبو الحسن علي بن الأثير: *الكامل في التاريخ*، دار الكتب العلمية، ط4، بيروت، 2003م، مج9، ص195.

³ ينظر: أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي: *المعيار المعرب عن فتاوى أهل أفريقيا والمغرب*، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (دط)، الرباط، 1401 هـ/1983م، ج2، ص455.

⁴ ابن خلدون: *تاريخ ابن خلدون*، ج6، ص266.

⁵ ينظر أبو القاسم عبيد الله بن خرداذية: *المسالك والممالك*، دار صادر، دط، بيروت، 1889، ص98.

⁶ عبد الواحد المراكشي: *المصدر السابق*، ص136.

⁷ الزركشي: *المصدر السابق*، ص4.

⁸ ابراهيم زكي خورشيد، أحمد الشناوي، عبد الحميد يونس: *دائرة المعارف الإسلامية*، الشعب، ط2، القاهرة، 1969، ج1، ص230.

⁹ ابن خلكان: *المصدر السابق*، ص44.

¹⁰ النيدق: *أخبار المهدي بن تومرت*، تح: عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1986، ص29.

¹¹ حوله ينظر: ابو الفداء، اسماعيل بن كثير: *طبقات الشافعية*، تح: عبدالحفيظ منصور، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، 2002، ج1، صص17-67.

عن المنكر¹، بعد هاته المرحلة عاد إلى بلاد المغرب سنة (510هـ/1116م)² أين أخذ يأمر بأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فلما سمع به علي بن يوسف بن تاشفين أعد له الشيوخ والفقهاء لمناظرتة، فعندما لم يقدرُوا عليه أتهموه بأنه خارجي، وطرده علي بن يوسف من مراکش³.

التحق بعد ذلك ابن تومرت بالسوس حيث قبائل المصامدة، وأخذ في الدعوة للإسلام الصحيح⁴، وأعلن سخطه عن المرابطين⁵، كما علمهم العقيدة بلسان البربر، فأحبوه وأطاعوه، ثم بايعوه بعد ذلك⁶، في 15 رمضان (515هـ/1121م)⁷، واستمالهم إلى ما أشاعه بينهم من فكرة المهدوية، وأخذ يروي أحاديثاً فيها مما شوقهم إليها حيث كان يقول لهم فيما أشار به الذهبي (ت748هـ/1374م) في سيره أن « ما في الأرض من يومن إيمانكم، وأنتم العصابة الذين عنى النبي صلى الله عليه وسلم⁸ بقوله: لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله⁹ ».

وكان يقول لهم أيضاً فيما أفاد به المراكشي « وأنتم الذين يفتح الله بكم فارس والروم، وتقتل الدجال، ومنكم الأمير الذي يصل بعيسى بن مريم، ولا يرزأ الأمر فيكم إلى قيام الساعة... لو لو شئت أن أعد خلفائكم خليفة خليفة¹⁰ ».

¹ البيهقي: أخبار المهدي بن تومرت، ص29.

² أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر، (دط)، بيروت، (دت)، ج4، مج2، ص72.

³ الوعيني الفيرواني: المصدر السابق، ص112.

⁴ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ص ص 196 – 197.

⁵ ألفرد بيل: الفروق الإسلامية في الشمال الإفريقي، تر: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، بيروت، 1981م، ص140.

⁶ المراكشي: المصدر السابق، ص 140.

⁷ أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي: الأنيب المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، (دط)، الرباط، 1972، ص39.

⁸ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج19، ص548.

⁹ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري لشرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، ط2، بيروت، 1406هـ، مج13، ص295.

¹⁰ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص143.

فالمقصود بالعصابة هم العشرة¹، وهم أول من أجاب دعوته² وبإيعه³، وأطلق عليهم عليهم اسم الجماعة⁴، ولعل ما عرف في وقت لاحق أن العصابة العصابة هم الذين شكلوا فيما بعد أول المجالس التي قامت عليها هيكلة الدولة وأجهزتها التنظيمية.

والطبقة الثانية هم الخمسين، وسماهم ابن تومرت بالمؤمنين⁵، وربما أطلق عليهم الاسم الأخير لما كانوا يشكلونه من سند قوي لقوام الدولة.

والملاحظ أن ابن تومرت عمد إلى تنظيم رجال دولته الأولين وهم جماعتي العشرة والخمسين، فقد عمد جمعهم من قبائل مختلفة في إطار الحلف والولاء تحت عصابة واحدة وسماهم الموحدين.

وأعلن بعد ذلك أنه المهدي المنتظر، فأصبح يسمى بذلك، وكان يسمى بالإمام⁶، وذلك في (15 رمضان 515هـ/1127م)⁷، فزادت طاعة المصامدة له، وزادوا من تعظيم شأنه⁸،

¹ عبد المؤمن بن علي الكومي، عمر بن علي أزناج الصنهاجي، اسماعيل بن مخلوف، أبو ابراهيم الهزري، اسماعيل بن موسى الحدميوي، أبو عبد الله سليمان، عبد الله ملويات، أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي، أبو محمد عبد الله البشير، للمزيد ينظر: البيق: أخبار المهدي بن تومرت، ص49، الغرناطي: المصدر السابق، ص ص 170-171.

وتزيد بعض المصادر على العشرة، ومنهم البذق، وابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، المصدر السابق، ص269.

² عبد الملك بن صاحب الصلاة: المن بالإمامة تاريخ المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تح: عبد الهادي النازي، دار الغرب الاسلامي، ط3، بيروت، 1987، ص148.

³ أبو محمد حسن بن القطان المراكشي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: علي مكي، دار الغرب الاسلامي، ط1، لبنان، 1990، ص76.

⁴ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص145.

⁵ نفسه، ص 145.

⁶ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص269.

⁷ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص39.

⁸ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص145.

أما عن مذهب المهدي بن تومرت فقد كان مزيجاً من الآراء، فأخذ عن أبو الأشاعرة¹، والشيعية²، والمعتزلة³.

وقد كتب مؤلفات في التوحيد والعقيدة بلغة البربر، كما استعمل هذه اللغة في خطبه، وكذا التخاطب بينهم⁴، وعلمهم التوحيد⁵، وهو وحدة الله المطلقة، وأن الله لا يشبه أي شيء، وهو ينفي تجسيم الله⁶، فهو «الأول من غير بداية والآخر من غير نهاية، والظاهر والباطن من غير تحديد، والباطن من غير تخصيص، موجود على الإطلاق من غير تشبيه ولا تكييف... ليس له مثل يقاس عليه»⁷. وذلك مصداقاً لقوله تعالى:

(فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)⁸

وسمى عقيدته في التوحيد⁹، بالمرشدة¹⁰، وحارب المرابطين بدعوى تجسيم الله¹¹، ولعل ذلك كان سبب الخلاف وهو أصل التسمية للذات الإلهية.

¹ شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: محمد المزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، (دط)، تونس، 1399هـ/1979م، ج2، ص124.

أما عن الأشاعرة فهم أتباع أبو الحسن الأشعري (260-324هـ/873-935م)، مشهور بالبصرة، ويعود نسبه للصحابي الجليل أبو موسى الأشعري. للمزيد حول عقيدته ينظر: عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص143.

² هم أتباع علي رضي الله عنه الذين شايعوه وقالوا بإمامته، وأن الإمامة لا تخرج من بنيته، نشأت بعد وقعت كربلاء في 61هـ ومقتل الحسن بن علي رضي الله عنه، وانقسمت لعدة فرق، تتفق حول مبدأ الإمامة وغيرها، ينظر: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنحل، تح: محمد سيد الكيلاني، (دط)، دار المعرفة، بيروت، (دت)، ص146.

³ هم أتباع واصل بن عطاء البصري، وسموا بن بك لأنهم اعترفوا قول الأمة في أن الفاسق من المسلمين هو بين مرتبة الكفر والايمان، ينظر: عبد القاهر بن طاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، تح: محمد محي الدين، دار المعرفة، (دط)، بيروت، (دت)، ص ص 20-21.

⁴ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج19، ص542.

⁵ الزركشي: المصدر السابق، ص05.

⁶ الفردبيل: المرجع السابق، ص 265.

⁷ محمد بن تومرت: أعز ما يطلب، تح: عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، (دط)، الجزائر، 1985م، ص ص 238-239.

⁸ سورة الشورى الآية 11.

⁹ على محمد الصلابي: صفحات مشرفة من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي، دار بن الجوزي، ط1، القاهرة، 1428هـ/2007م، ج2، ص370.

¹⁰ ابن الكثير أبو الفداء الحافظ: البداية والنهاية، تح: احمد جاد(دط) دار الحديث القاهرة 2006، مج7، ج16، ص246.

¹¹ ابن تومرت: المصدر السابق، ص233.

أما عن عقيدة الإمامة عند المهدي، فقد أقر أن الإمامة ركن من أركان الدين، وعماد من أعمدة الشريعة، لا يقوم الدين إلا به، ويكون الإمام معصوماً من الباطل والظلال، والبدع والفتن والعمل بالجهل¹.

وإذا كانت مخالفة الرعية للإمام فسد أمر الدنيا، وبذلك يجب إسناد كل الأمر إليه، وعلى الرعية تعظيمه²، واستئذانه في كل أمر والنتافس للاقتداء به، ولا ينبغي أن يرفعوا صوتهم فوق صوته وغيرها من أمور الإجلال والتعظيم³، كان ابن تومرت هو المهدي والإمام المعصوم، ويبدو أنه أخذ هذا المذهب عن الشيعة إلا أنه يختلف عنهم في أنه يأخذ بالأحاديث التي روتها عائشة أم المؤمنين، ويقدرها تقديراً عالياً⁴، ويمكن ملاحظة أنه لم يقر بفكرة الإمام بالوصية، فهو أوصى بعبد المؤمن بن علي بعده على أنه أمير الموحدين، وليس الإمام المعصوم، وأتبع ابن تومرت هذا المنهج وذلك لفرض السيطرة على الاتباع. ويرفض المهدي القياس المتبع عند أهل السنة، ويسميه الظف، ويتبع القرآن الكريم والأحاديث الشريفة⁵، ويلجأ إلى التأويل⁶، ويرى أن القياس لا يفيد في الدين، فهو ليس سوى سوى رأي شخصي لا يجب استعماله⁷.

¹ ابن الكثير: المصدر السابق، ج16، ص246.

² ابن تومرت: المصدر السابق، ص233.

³ ابن تومرت: المصدر السابق، ص233.

⁴ الفرديل: المرجع السابق، ص ص 265 – 267.

⁵ ابن تومرت: المصدر السابق، ص07.

⁶ معناه في الأصل الترجيح، وشرعاً صرف النظر عن معنى اللفظ إلى معنى يحتمله، إذا كان الذي يأول يراه موافقاً بالكتاب والسنة، للمزيد ينظر: الشريف علي بن محمد الجرجاني: كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية،

ط1، بيروت، 1403هـ/1983م، ص51.

⁷ الفرديل: الرجوع السابق، ص275.

2: دولة الموحدين بين العصبية القبلية و الوازع الديني.

1-2 ابن تومرت بين المذهب الديني والعصبية القبلية:

يبدو أن أحلام السياسة ربما تكون قد راودت المهدي بن تومرت منذ كان بالمشرق¹، وتذكر الروايات أن الإمام الغزالي كلما رأى ابن تومرت قال « لا بد لهذا البربري من دولة»².

وكان يرى في المغرب منطلقاً لدعوته، باعتبار عصبية من المصامدة هناك³، فعاد إلى إلى المغرب وبدأ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁴، واعتبر ذلك من صميم عقيدته⁵، كما أن هناك جوانب من شخصية المهدي كانت تنبئ بحبه للظهور والرئاسة⁶، وقد بدأ في تخطيطه للعمل السياسي منذ دخوله للمغرب الأوسط حين التقى بعبد بعبد المؤمن⁷، وقد كان بصاحب المجهولين، أو كما وصفهم ابن خلكان (ت781هـ/1291م): بالأعمار⁸، والذين لا يملكون شعبية من قبل حتى لا يأخذوا شيئاً من شهرته، فتبرز بذلك شخصيته وتتحقق مخططاته⁹، وهذا إن ثبت قد يكون يحمل في ثناياه شخصية طامحة لابرار الذات على حساب الغير.

ولما وصل المهدي مراكش أخذ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ككل مرة يحل فيها بأي منطقة، فلما سمع به علي بن يوسف بن تاشفين (500-537هـ/1106-1142م) أعد له الفقهاء والمناظرين من فقها وشيوخ لمتونة¹⁰، فلم يقدروا على جداله، وكان أقوى منهم بالحجة والدليل¹¹، فأمر علي بن يوسف بطرده من مراكش، وتعتبر هذه المناظرة نواة لثورة ابن تومرت ضد المرابطين حيث أنه خرج من هناك متجهاً نحو

¹ حركات: الرجوع السابق، ص249.

² يحي هويدي: "محمد بن تومرت وتوفيقه بين الحكمة والشريعة"، مجلة الأصالة، العدد12، الجزائر، 1432هـ/1973م، ص20.

³ حركات: المرجع السابق، ص249.

⁴ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص38.

⁵ ابن تومرت: المصدر السابق، ص230.

⁶ الحنبلي: المصدر السابق، ص70.

⁷ حركات: المرجع السابق، ص249. ينظر:

⁸ ابن خلكان: المصدر السابق، ص48.

⁹ حركات: المرجع السابق، ص ص 249 - 250.

¹⁰ الرعيني القيرواني: المصدر السابق، ص 108.

¹¹ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج9، ص196.

السوس ونزل بتينمل¹، وبدأ دعوته من هناك² في 514هـ/1120م³، وبدأ في تدريس الناس الناس العقيدة، ودعاهم لحرب المرابطين⁴، وبعد بيعته عمل على تجميع قبائل المصامدة، فبدأ بقبيلته هرغة، وانضمت إليه كدميو وكنفيسة، ولما زحف المرابطون على هرغة الذين استغاثو بهنناتة وتيمنل، فأجاروهم وهزموا المرابطين، فكانت بداية زحف المصامدة على الدولة المرابطية (462-541هـ/1070-1147م)، دخل بعد ذلك المهدي في قتال من تخلف عنه من المصامدة، فبدأ بهزرجة وأطاعوه، ثم هكسورة، وغزا بعد ذلك مناطق أخرى، وكان بعد ذلك لقاؤه مع المرابطين أين هزمهم⁵، ثم كانت موقعة البحيرة⁶ قرب مراكش⁷، حيث كان جيش الموحدين في أربعين ألف، ولم يكن فيهم سوى أربعون فارساً، وهناك من يقول أربعمئة في 522هـ/1129م، وحاصروها حوالي أربعون يوماً⁸، لكن جيش المرابطين نزل بهم وهزمهم، وأخذ فيهم سبباً وقتلاً⁹، انسحب على أثر ذلك عبد المؤمن مع بقايا الجيش إلى حصن تينمل¹⁰، ومرض المهدي على أثر هذه الموقعة، ثم كانت وفاته بعد أربعة أشهر من ذلك¹¹، في (522هـ/1129م)¹²، وعلى الرغم من أن ابن تومرت لم يستطع الإطاحة بدولة المرابطين، غير أنه نجح في توحيد العصبية المتفرقة¹³، وقد كان ذلك عن طريق مذهب ديني مزج فيه المهدي بين آراء من مختلف الفرق المذهبية في المشرق الاسلامي.

¹ الرعيبي القيرواني: المصدر السابق، ص108

² عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص140.

³ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص39.

⁴ عمار عمورة، نبيل دادوة: الجزائر بوابة التاريخ، دار المعرفة، (دط)، الجزائر، 2009، ص139.

⁵ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص269.

⁶ وتعني عند المغاربة البستان، حيث سمي البحيرة، وقد عرف هذا العام أيضاً بعام البحيرة، ينظر: ابن الأثير:

الكامل في التاريخ، مج9، ص200.

⁷ الزركشي: المصدر السابق، ص7.

⁸ السلاوي: المصدر السابق، ص135.

⁹ مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص116.

¹⁰ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص270.

¹¹ البيهقي: أخبار المهدي بن تومرت، ص64

¹² عبد الكبير بن تامجدوب الفاسي: موسوعة أعلام المغرب، تح: محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، ط2،

بيروت، 2008، ج1، ص345.

¹³ دنون طه: دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الاسلامي، ص210.

إنه واستناد لمسار الأحداث من الممكن أن يكون أبين تومرت قد استعمل الدعوة الدينية كغطاء للوصول لهدفه السياسي وهو الإطاحة بالمرابطين وإقامة دولة جديدة¹، وهو الهدف الذي ربما جرت عليه تطورات الأحداث، وما انتهى إليه المسار التاريخي.

وما يمكن ملاحظته هنا أن أبين تومرت أتبع منهج الدعوة الدينية لإقامة كيانه السياسي، واستعمل لذلك عدة طرق، فأدعى النسب الشريف ثم المهدية لكسب الأتباع، معتمداً في ذلك على عصبية من هرغة وعصبية أتباعه الذين جمعهم من قبائل متعددة، وشكل منهم قوة عصبية كانت نواة دولة الموحدين فيما بعد، ومن هنا نلاحظ أن الدعوة الموحدية كانت في البداية ذات طابع ديني، ثم استعمل هذا الأخير كمطية لتجميع القبائل وتأليتها على السلطة القائمة، فتوازي في هذه المرحلة العمل الديني مع العامل العصبي.

¹ عنان: المرجع السابق، ص206.

2 - 2 عبد المؤمن بن علي وإقامة الدولة الموحدية:

لما كان ابن تومرت على ما يبدو يسعى للوصول لمرحلة إقامة دولته ، فإنه واستناداً إلى ما يروى عنه أنه قد عمل جاهداً خلال فترة حياته أن يجعل من عبد المؤمن بن علي صورة له، فأعد لذلك، وأمر أتباعه بطاعته في حياته من أجل إعداده لخلافته عقب وفاته¹، وقد أوصى بذلك حين مرضه وكان له ذلك².

وعبد المؤمن هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي بن يعلا بن الحسن بن كئونه بن عبد الله بن القاسم بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب³، وهو من أبناء سليم بن منصور بن قيس بن عيلان، وهو صاحب نسب شريف⁴، فهو عبد المؤمن القبي الكومي⁵، ولد في 1094م/487هـ ندرومة قرب تلمسان⁶، وقد بويغ بخلافة ابن تومرت⁷، من طرف الموحدين حيث بايعته الجماعة، وأهل الخمسين ثم بقية الموحدين⁸، وذلك في العام 524م/1130هـ⁹.

وقد استفاد عبد المؤمن من موقعة البحيرة، حيث قضى عشر سنوات في التحضير لمهاجمة المرابطين حيث كثف وفعل نشاطه الدعوي، وقام بمهاجمة بعض القبائل المرابطية في المناطق الجبلية الجنوبية المحاذية للصحراء.

ثم كان بعد ذلك بداية العمل على اسقاط دولة المرابطين (462-541هـ / 1070-1147م)، واستفعال أمر الموحدين، حيث يذكر ابن خلدون (ت808هـ/1406م) عن الموحدين والموقف منهم حيث "تسابق الناس إلى دعوتهم أفواجا، وانتقض البربر في سائر أقطار

¹ أحمد متولي: بداية الأيام ونهاية الزمان في تاريخ الاسلام، دار ابن الحزم، ط1، القاهرة، 1429هـ/2008م، ص283.

² الرعيني القيرواني: المصدر السابق، ص109.

³ البيدق: المقتبس من كتاب الأنسان، ص13.

⁴ Levi provençale: document indicts d'histoire almohade, libraire orientaliste, paris, 1928, p33.

⁵ ابن خلكان: المصدر السابق، ص237. والكومي نسبة إلى كومية.

⁶ عمار عمورة: نبيل دادوة، المرجع السابق، ص139. ويذكر البيدق أن جد عبد المؤمن كان بالأندلس، ولما كثرت الفتن بالأندلس، نزل إلى المغرب الأوسط وتحديداً تلمسان وجاور إحدى بطون زناته، فنسب إليهم بحكم الجوار والحلف، ينظر: البيدق: كتاب أخبار المهدي بن تومرت، ص22.

⁷ لم يعلن أصحاب المهدي وفاته إلا بعد سنتين، وذلك بتنظيم شؤون الدولة، ينظر: ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6 ص270. لكن التساؤل المطروح هل يمكن إخفاء وفاة شخص بارز جداً على ساحة الأحداث ولهذه المدة الطويلة.

⁸ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص146.

⁹ دنون طه: دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، ص210.

المغرب على لمتونة¹، وانتشرت دعوة الموحدين في عهد عبد المؤمن في بلاد المغرب²، حيث أنه غادر تينمل في (534هـ/1139م) قاصداً غزو المرابطين³، واتجه نحو السوس أين التقى بمجموع أهل ندرومة تتقدمهم كزولة⁴ التي انهزمت، ودخلت بعدها في دعوة الموحدين⁵، ثم كانت الفتنة بين قبيلتي مسوفة و لمتونة بعد تولي تاشفين بن علي خلافة أبيه سنة (539هـ/1145م)، ودخل بعض زعماء مسوفة في طاعة الموحدين مع عدد من زعماء زناته، فلما كان من عبد المؤمن إلا إرسال جيش لإخضاع باقي زناته، وأرسل تاشفين جيشه من لمتونة وهزم الموحدين، فسار بعدها عبد المؤمن إلى تلمسان وتمكن من هزيمة لمتونة⁶.

واستمر عبد المؤمن في السعي للاطاحة بالدولة القائمة فزحف على بلاد زناته، وأخضع قبائل مديونة⁷، ثم تمكن من هزيمة زناته⁸، وعلى الرغم من أن زناته تملك قوة كبيرة إن قد تكون أقوى من المصامدة من ناحية العصبية والبداعة، إلا أن هزيمتهم جاءت نتيجة أن المصامدة لما اتبعوا دعوة ابن تومرت ولبسوا صبغة دينية زادت قوتهم، وبذلك تمكنوا من ضم قبيلة كبرى إلى عصبهم⁹.

انضم بعد ذلك المغراويون¹⁰، وبنومزين¹¹، إلى الموحدين، أما المرابطين فقد توجه أميرهم تاشفين إلى تلمسان، ومنها صوب ما يعرف اليوم بوهران، فلحقهم الموحدون وأحاطوا بالحصن الذي لجأ إليه المرابطين أين هلك أميرهم وهو يحاول النجاة بفرسه سنة

¹ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6 ص 271.

² أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير: رحلة ابن جبير، دار القصة للنشر، (دط)، الجزائر، 2001، ص45.

³ عمار عمورة، نبيل دادوة: المرجع السابق، ص 140.

⁴ أو جزولة كما تعرف بذلك.

⁵ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص271.

⁶ هشام أبو رميلة: علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، دار الفرقان، ط1،

عمان، الأردن، 1404هـ/1984م، ص ص 51-52.

⁷ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6 ص271.

⁸ مغربي: المرجع السابق، ص160.

⁹ حركات: المرجع السابق، ص 261.

¹⁰ نسبة إلى مغراوة، وهي إحدى بطون زناته، ينسبون إلى مغراو بن يصلتين بن مصر، بن زاكيا بن ورسيك

بن الديرت بن جانا، مواطنهم بالمغرب الأوسط من الشلف إلى تلمسان، ينظر: ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج

ص271.

¹¹ هم فخر من أشراف زناته، وهم بنو مزين بن ورنانجن بن ماخوخ، موطنهم الأول أرض الزاب، ينظر:

الغرناطي: المصدر السابق، ص283.

(539هـ/1145م)¹، وبعد هذا النصر الذي حققه الموحدون توجه عبد المؤمن إلى المغرب الأقصى، ودخل فس، ثم زحف على مكناس وسلا والرباط²، تمكن بعدها من دخول مراكش مراكش في (541هـ/1147م) وقتلوا إسحاق بن علي بن يوسف آخر الأمراء المرابطين³. وهكذا وبعد أن تمكن عبد المؤمن من توحيد وضم قبائل ومدن المغرب الأقصى تحت رايته، وأسقاط دولة المرابطين، توجه صوب المغرب الأوسط حيث استولى على ما تسمى اليوم الشلف، مليانة والجزائر، توجه بعد ذلك إلى بجاية ودخلها (547هـ/1152م) أين هرب آخر أمراء الحماديين يحي بن عبد العزيز (515-547هـ/1121-1152م)⁴، وطارده وطارده الموحدون ثم عرضوا عليه الأمان.

أرسل عبد المؤمن بعد ذلك جيشاً لمحاربة بني هلال الذين تجمعوا لحربه، لكنه تمكن من هزيمتهم في (548هـ/1153م) وجمع أموالهم وأولادهم، على أمل أن يلحقوا به فكان له ذلك حيث طلبوا الأمان فعفا عنهم وأدخلهم ضمن جيش الموحدين⁵. وفي الوقت الذي كان فيه الموحدون يدخلون المغرب الأوسط أرسل عبد المؤمن جيشاً إلى الأندلس، ودخلها في (540هـ/1146م)⁶ وذلك لإكمال مهمة الجهاد ضد النصارى، وضم الأندلس لدولتهم⁷، تمكن عبد المؤمن بعد ذلك من ضم تونس وتوحيدها بعد حصار طويل⁸. طويل⁸.

وهكذا انطوت بلاد المغرب الاسلامي تحت حكم الموحدين حيث يصفها ابن جبير (ت540هـ/1146م) قائلاً: "... كما أنه لا عدل ولا حق ولا دين على وجهه إلا عند الموحدين أعزهم الله، فهم آخر أئمة العدل في الزمان"⁹.

¹ حركات: المرجع السابق، ص261.

² عمار عمورة، نبيل دادوة: المرجع السابق، ص141.

³ ابن عذاري: البيان المغرب، ج4، ص108.

⁴ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ص 298-303.

⁵ عمار عمورة، نبيل دادوة: المرجع السابق، ص ص 141-142.

⁶ أحمد بن محمد التلمساني المقرئ: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، (دط)، بيروت،

1388هـ/1968م، ج1، ص442.

⁷ مجاهد مجهول من المقاومة الاسلامية لغرناطة: نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، دار الفكر، (دط)،

دمشق، 1423هـ/2002م، ص9.

⁸ البيدق: أخبار المهدي بن تومرت، ص115.

⁹ ابن جبير: المصدر السابق، ص45.

هذا وقد بلغ الموحدون مراتب في الحضارة ، حيث أنهم بلغوا مرتبة من الرخاء والأمن ، حيث انتشرت الفنون والعلوم، وتعرب المغاربة بفضل الجهود التي استمرت قبائل بني هلال في ارسائها، كما اعتنى الموحدون بالصناعة والفلاحة والتجارة¹ ، كما بلغ العمران درجات متقدمة حيث تم بناء المساجد والحصون الحربية والحوضر²، وشهد عهد الموحدين الموحدين نهضة كبيرة في مختلف العلوم³، كما اعتمدت الدولة على نظام سياسي ديني لتسيير أمور الحكم، فتم ترتيب أصحاب المهدي، والقبائل إلى درجات على النحو التالي: فتم وضع العشرة في المرتبة الأولى⁴، وكانوا بمثابة الوزراء فكانوا هيئة استشارية⁵، ثم يأتي أهل الخمسين⁶، وكانوا بمثابة أعضاء مجلس الشيوخ أما المرتبة الثالثة فهم أهل السبعين ويمكن تشبيهم بأعضاء مجلس الأمة، ثم يأتي الطلبة وهم العلماء، وبعدها الحفاظ وهم صغار الطلبة⁷، وفي الدرجة السادسة أهل الدار، ثم قبيلة هرغة، ثم تأتي بعدها أهل يتنمل⁸، ثم تأتي على الترتيب: قبيلة جدميوة، جنفيسة، هنشاته، قبائل الموحدين⁹، وهي تشمل ضمن هذا المعنى قبائل تقطن في آخر بلاد المغرب وأول بلاد السودان¹⁰، ثم تأتي الجند والغزاة، وهم من عوام الناس.

والظاهر أن ابن تومرت أراد أن يقدم من خلال هذا التنظيم صور الدولة القادرة على تأمين جانب الحصانة الخاصة بالحضور العصبي، والذي كان من أعمدة كيان الدولة الناشئة التي تبدوا غير قادرة على الاستمرار بدونه، على الأقل خلال هاته المرحلة.

¹ عمارة عمورة، نبيل دادوة: المرجع السابق، ص143.

² على الجزنائي: جني زهور آس في بناء مدينة فاس، تح: الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، ط2، الرباط، الرباط، 1411هـ/1991م، ص44.

³ صالح بن قربة: الموسوعة التاريخية للشباب عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1985، ص ص19-20.

⁴ لسان الدين الخطيب: الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، معهد الدراسات العليا، (دط)، الرباط، 1939، ص79.

⁵ حركات: المصدر السابق، ص317.

⁶ حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي والدينب والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، ط14، بيروت، 1996، ج4، ص286.

⁷ الخطيب: المصدر السابق، ص79.

⁸ حسن ابراهيم حسن: المرجع السابق، ص286.

⁹ الخطيب: المصدر السابق، ص79.

¹⁰ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص246.

أما بالنسبة لعبد المؤمن بن علي فبعد أن وطئت أقدامه في السلطة اعتمد على هيئة استشارية أخرى تشكلت من وزراء وحجاب وقضاة وكتاب ذوي خبرة وولادة وغيرها¹. ويمكن القول أن خلافة عبد المؤمن لابن تومرت كانت بوصية هذا الأخير، رغم وجود إخوة له، لأنه رأى فيه صورته والشخص الذي سيحقق آماله، في إسقاط دولة المرابطين (462-541هـ/1070-1147م) وإقامة دولة التوحيد، وقد استمر عبد المؤمن في الزحف على القبائل وتجميع العصبية عن طريق الحلف والولاء أو حتى الغلبة. وحتى المصاهرة أحياناً أخرى².

وذلك ما يؤكد بقينا النوجه الذي أسسه سلفه، وكأنه يؤكد لنا التوجه الخلدوني الذي يربط الكيانات السياسية بالعصبية وهو أمر جلي في سيرة عبد المؤمن بن علي الذي واصل ذلك إلى أن أسقط دولة المرابطين، ووصلت الدولة الموحدية إلى أوجها في عهده واستمرت كذلك عند خلفائه الثلاثة، وشهدت الدولة حضارة شملت مختلف النواحي، واعتمد على هيئة المهدي في البداية، لكن ما لبث أن استغنى عنها، وكانت بمثابة أساس تجمع العصبية في الدولة، ومن هنا بؤادر الضعف، وهو ما سنحاول معالجته في المبحث الموالي.

¹ عمارة عمورة، نبيل دادوة: المرجع السابق، ص147.

² الآغبين عودة المزارعي: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19م، تح: يحي بوعزيز، دار البصائر، ط1، الجزائر، 2007، ص148.

3 - ضعف العصبية القبلية والوازع الديني وسقوط دولة الموحدين

3 - 1 - ضعف العصبية القبلية وسقوط دولة الموحدين:

إن من طبيعة الدولة في العمران البشري، كعمر الإنسان؛ تبدأ بالمولد وهي مرحلة نشأة الدولة، ثم تدخل مرحلة القوة وهي مرحلة الشباب، فإذا وصلت إلى أوج قوتها تبدأ بالهبوط والانحدار¹.

وينطبق هذا الأمر على دولة الموحدين، فقد وصلت إلى أوج قوتها في عهد عبد المؤمن²، وما إن توفي في (558هـ/1163م)، وكان قد حكم 33 سنة³، حتى بدأت علامات التزعزع تسري في كيان الدولة على الرغم من بقائها متماسكة في عهد خلفائه الثلاثة بداية بيوسف بن عبد المؤمن (557-580هـ/1184-1198م)، ثم أبو يوسف يعقوب المنصور (580-595هـ/1198-1213م)⁴، والذين خاضوا معارك طاحنة ضد النصارى، كانت أشهرها معركة الأرك⁵، والتي انتصر فيها يعقوب المنصور ضد النصارى بالأندلس سنة 591هـ/1195م⁶.

وقد اعتمد عبد المؤمن في بداية أمره على الهيئة التي تركها ابن تومرت، وما أن استتب له الأمر حتى استغنى عنها واستبدلها بهيئة استشارية، اعتمد فيها على الوزراء، والحجاب، والولاية وغيرها⁷، وأبعد العصبية التي قامت عليها الدولة، وهي المصامدة حيث عزل شيوخهم عن الأعمال الكبرى⁸، ونجح في توريث الحكم لأبنائه من بعده، وسكت شيوخ الموحدين عن ذلك، وقد يكون السبب لذلك تمتعهم بامتيازات وإقطاعات كبيرة، فسكتوا عن

¹ ابن خلدون: المقدمة، ص ص301-303.

² عبد الكريم غلاب: قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1426هـ/2005م، ج2، ص207.

³ محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1394هـ، ص135.

⁴ عبد الكريم غلاب: المرجع السابق، ص ص207-208.

⁵ وتعرف أيضاً بسانتا ماريا الأركيش، حصن صغير بناحية قلعة رياح، على بعد 07 أميال (أي نحو 8 كيلومترات)، غرب سيوداد ريال الحالية، وقد انتهت هذه المعركة بسحق الجيش المسيحي النصراني. ينظر:

ابراهيم زكي خورسيد وآخرون: المرجع السابق، ج3، ص09.

⁶ المقرئ: المصدر السابق، ج1، ص443.

⁷ عمار عمورة، نبيل دادوة: الرجع السابق، ص147.

⁸ مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص151.

ذلك وفتحوا برغم العيش¹، كما أن طريقة الانتخابات والبيعة كان بإمكانها إيقاض المنافسة والصراع حول السلطة في النفوس².

ولم يكتف المهدي بإبعاد شيوخ المصامدة عن الحكم بل أنه قرب عصبية إلى الحكم حيث استوزر عبد السلام الكومي في العام (553هـ/1157م)، واستمر في الوزارة حتى (557هـ/1161م)، حتى أنه سمي بالمقرب لشدة قربه من عبد المؤمن، حيث عزله بعد أن وجد منه أشياء لم يرضاها منها³.

كما أنه عندما حاول إخوة ابن تومرت وهم من آيت ومغار الذين ينتمون لقبيلة هرغة اغتيال عبد المؤمن بحجة عدم انتماءه للمصامدة في (549هـ/1154م)، ولما فشلوا في ذلك وقتلوا مكانه شيخاً اسمه أبو ابراهيم أعلم عبد المؤمن بذلك وبات في خيمته، قام حينها عبد المؤمن باعتقالهم، وقتلهم، وقرر منذ ذلك الحين الاحتماء بقومه وعصبية من كومية، فجلب منهم حوالي أربعين ألف وجعل منهم عمالاً وحراساً له⁴، ولئن دل هذا على شيء فهو الإبعاد التدريجي لعصبية المصامدة على شؤون الحكم في الدولة.

وبدأت مظاهر الحضارة والترف تظهر في الدولة، خاصة في عهد الخليفة أبو يعقوب، الذي عاد إلى المغرب متأثراً بمظاهر الحضارة في الأندلس، فزالت عنه خشونة البداوة إلا أنه كان محباً للجهاد فلم يؤثر هذا الكثير في الدولة⁵، وربما يعود ذلك لكثرة احتكاكه بالجيل الأول المؤسس للدولة.

كما أن انتماء الجند لعصبية مختلفة، أدى إلى ضعف روح الانتماء للعصبية الواحدة، فاصبح لا يدافع عن الدولة إلا مقابل المال، فأصبح خليطاً من العصبية والمرترقة، وأكبر مثال على ذلك أنه لما لم محمد الناصر الأعظيات والمهبات، غدر به جزء كبير منهم⁶ في

¹ يبدو أنهم وعلى الرغم من تربيتهم الدينية وذلك لمرافقتهم لابن تومرت، إلا أنهم انغمسوا في الترف والنعيم خاصة عقب وفاته، وهذا مظهر من مظاهر ضعف العصبية.

² محمد حسن العيدروس: **المغرب العربي في العصر الإسلامي**، دار الكتاب الحديث، ط1، القاهرة، 1430هـ/2009م، ص243.

³ ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص ص 112-113.

⁴ حركات: المرجع السابق، ص267.

⁵ السيد عبد العزيز سالم: **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، دط، الاسكندرية، 2008، ص711.

⁶ عبد الكريم غلاب: المرجع السابق، ص20.

موقعة العقاب والهزيمة الساحقة لجيش الموحدين¹، واعتبرت هذه الموقعة بمثابة النهاية للدولة (608هـ/1212م)².

وساهم اتساع رقعة الدولة في ضعفها حيث امتدت من برقة حتى المحيط الأطلسي، ومن البحر المتوسط إلى الصحراء الكبرى، مما أدى لكثرة الثورات الداخلية وصعوبة السيطرة عليها³، فقد كانت ثورة منهاجة في عهد أبو يعقوب المنصور، والتي لم يتمكن من إخمادها إلا بعد الخروج إليها بنفسه⁴، أما الثورة التي أرهقت كاهل الدولة الموحدية فقد كانت ثورة بني غانية⁵، حيث استولوا على مدن المغرب الأوسط، وحالفو بعض القبائل والعربية، ورغم هزيمتهم بالمغرب الأدنى في (583هـ/1187م)، إلا أنهم بقو يشكلون خطراً على الدولة، وعمل الخليفة الناصر على تأمين المغرب الأدنى⁶، باسناد ولايتها إلى أبو محمد عبد عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاتي، وبرزت حينها الدولة الحفصية في (627-943هـ/1229-1536م)⁷، وهكذا بدأ الانشقاق في دولة الموحدين ببروز العصبية المحلية⁸، وانفصل بنو زيان بالمغرب الأوسط في (633هـ/1236م)⁹، بالإضافة إلى بروز بروز التناحر على السلطة داخل البيت المؤمني، فكان العزل والقتل منذ عهد يوسف المنتصر بن محمد الناصر، مما زاد في زعزعة الأمن والنظام داخل الدولة¹⁰.

وزيادة على انفصال الدولة الحفصية والزيرية، كان استقلال جزء كبير من المغرب الأوسط عن طريق بني مرين، حيث برزت عصبية زناته منذ وقعة العقاب، فكانت هزيمة الخليفة الموحي السعيد بن المأمون بن يعقوب المنصور (464-465هـ/1248-1249م)

¹ محمد بن عبد المنعم الحصري: الروض المعطار في خير الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، 1975، ص416.

² عبد الكريم غلاب: المرجع السابق، ص209.

³ نفسه، ص211.

⁴ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص202.

⁵ ينتمون إلى قبيلة مسوفة الصنهاجية، تمكنوا من إنشاء إمارة في جزر البليار (الجزائر الشرقية) معترفين بالولاء لبني العباس في عهد أبو يوسف بن عبد المؤمن، دخلوا في مفاوضات معه، حيث لم يستطع ادماجهم في دولة الموحدين، وعقب وفاته هاجموا الأراضي الموحدية، ينظر: ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص192.

⁶ أبو عبد الله محمد بن أحمد الشماخ: الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر المعموري، المعموري، الدار العربية للكتاب، (دط)، دب، 1984، ص9.

⁷ الغرناطي: المصدر السابق، ص243.

⁸ عبد الرحمن الجيلاني: لمحة عن زحف ابن غانية الميورقي على بجاية (580هـ/1184م)، مجلة الأصالة، مطبعة البعث، العدد19، قسنطينة، 1394هـ/1974م، ص37.

⁹ المزاربي: المرجع السابق، ص149.

¹⁰ دنون طه: دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الاسلامي، ص210.

وانفصال بني مزين نهائياً في 646هـ/1248م¹، وتوسعوا في المغرب الأوسط حيث زحفوا زحفوا على فاس وسجلماسة، وهاجموا مراكش عدة مرات إلى أن دخلوها في (668هـ/1269م)، بعد أن هزموا آخر خلفاء الموحدين وهزموه، وتمكنوا من قتله، وبهذا كانت نهاية الدولة الموحدية².

ومن كل ما سبق يمكننا ومن خلال النظر في سياق تتالي الأحداث التي أحاطت بالدولة الموحدية قد نعتبره جانباً من الحقيقة وهو أن ضعف العصبية في دولة الموحدين كإحدى عوامل بارز في سقوطها، فقد أدى ضعفها إلى انتشار الفتن الداخلية، والتي أدت في النهاية إلى انقسام الدولة وسقوطها، هذا وقد كان لضعف الوازع الديني دور كبير في إضعاف الدولة وسقوطها، وهو ما سنحاول التطرق إليه وتناول بعض جوانبه التي نرى فيها جانباً من الأهمية بحسب اجتهادنا، وذلك في العنصر التالي.

¹ نفسه، ص 210.

² مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 171.

3 - 2 - أثر ضعف الوازع الديني في سقوط دولة الموحدين :

ما من شك أن العامل الديني له حضوره السياسي لاعتبار الدور الذي يلعبه في تقوية الدول وإضعافها، وتعتبر دولة الموحدين مثلاً لذلك، فالمصامدة لما أصطبغوا بصيغة دينية من أتباع أمر ابن تومرت، زادت قوتهم واستولوا على عصبية كانت أقوى منهم وهي زناته، لكن لما ضعف الوازع الديني ثارت عليهم زناته وأسقطت دولتهم¹، وسنحاول شرح ذلك فيما يأتي:

سبق الذكر على أن دولة الموحدين قامت على أساس عصبية الإمام المهدي ابن تومرت، وبهذه الفكرة اجتمع حوله المصامدة، وكانوا الساعد في إنشاء دولته، وأشرنا أيضاً إلى أن ابن تومرت قد أحسن استثمار هذا الجانب وحرص على توظيفه بشكل ايجابي وفاعل بين الجانب الديني والجانب العصبي لمرحلة إعلان الدولة، وهو ما يؤكد حقيقة تلازم الجانبين وحضورها بفاعلية على مستوى الدولة الموحدية.

وقد بدأت بوادر ضعف الولاؤ عند الولاة الموحدين منذ أن تلقب عبد المؤمن بلقب أمير المؤمنين، فظهر ضعف ولاء الحفصيين باعتبار أن عبد المؤمن لا يتوفر على العصمة، وينتفي في النسب القرشي، رغم بقائه على اتباع سيرة المهدي².

ولما ضعفت دولة الموحدين، وآل الأمر لخليفتهم إدريس المأمون بن يعقوب المنصور (ت627هـ/1229-1230م) اسقط اسم المهدي من الخطبة³، وألغى اسمه من السكة، وأصدر أوامره لولاته بذلك، وأبطل تقليد النعي عليه في الأذان بلغة البربر، وحذف عبارة "أصبح والله الحمد" من آذان الفجر، وغير ذلك من السنن التي سنها المهدي⁴.

¹ ابن خلدون: المقدمة، ص170.

² نفسه، ص238. ومن شدة ولاء عبد المؤمن لابن تومرت أنه بعد وفاة هذا الأخير وبيعة عبد المؤمن، كان يزور قبره بتينمل ويستشير في الأمور العظيمة، ومثال ذلك زيارته له قبل غزوة الأندلس، ينظر: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص ص 149-150.

³ المزاري: المرجع السابق، ص ص 149-150.

⁴ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص 200.

وكان يقول لرعيته فيما رواه ابن أبي زرع (ت ق 8/ 14 م) «أيها الناس لاتدعوه بالمهدي المعصوم، وادعوه بالقوي المذموم، فإنه لا معصوم إلا الأنبياء، ولا مهدي إلا عيسى، وأنا قد نبذنا أمره الخسيس»¹.

وقد رأى الموحدون هذه الثورة المذهبية تعتبر مصدر خطر على الدولة وكيانها²، ومما زاد من سوء الأمر أن المأمون تحالف مع النصارى³، وهذا دليل واضح على ضعف الوازع الديني عند هذا الحاكم.

وقد انجر على هذا السلوك للمأمون انفصال بعض الأجزاء من دولة الموحدين، واستغلت بعض العصبية هذا الأمر واستقلت بأجزاء من الدولة، وأبرز مثال عن ذلك، الدولة الحفصية التي انفصلت بسبب الولاء للمهدي وسننه، أو أنها اتخذت هذا الأمر حجة للانفصال⁴.

وإذا كان مذهب التوحيد وتعقيده عند ابن تومرت قد بلغ، فإن العوام لم يصلهم هذا الفهم، فاتبعوا المذهب طوعاً وكرهاً، وقد ساند البربر الحركات الانفصالية التي اتبعت المذهب المالكي وأزروهم على ذلك، مدعمين بذلك استقلالهم عن دولة الموحدين التي كانت تعاني الصعف، مفضلين التفسير المبسط للقرآن والذي قد يبلغ العامة من الناس، عن التأويل الذي يقود عند بعض العلماء إلى الكفر⁵.

زد على ذلك أن الجيش الموحي كان خليطاً من مختلف القبائل، واحتوى على عدد كبير من المرتزقة، الذين أصبح همهم المال، وضعفت لديهم روح الجهاد والدفاع عن ديار المسلمين وقد بدا ذلك جلياً في الأندلس، هذا إذا أضفنا أن ذلك الجيش كما يحتوي على عدد من النصارى⁶، أما الأعراب من بني هلال، والذين شكلوا الجيش، فقد كان الوازع الديني

¹ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 179. ويمكن تصور خطورة خطوة اسقاط أمر المهدي، ولعنه على نفوس رعية أمنت به وناصرته على أساس مهاديته وعصمته.

² ابن القطان: المصدر السابق، ص 37.

³ الفريديبل: المصدر السابق، ص 281.

⁴ ألفريديبل: المرجع السابق، ص 283.

⁵ نفسه، ص 284.

⁶ عبد الكريم غلاب: المرجع السابق، ص 207-208.

عندهم ضعيفاً، فقد لجأوا أحياناً إلى التحالف مع النصارى ضد دولة الموحدين، وتأييد الحركات الانفصالية التي ثارت ضدهم¹.

لقد أهمل آخر حكام الموحدين أمور الحكم والدين، وانغمسوا في اللذات وشرب الخمر، ففقدت الرعية الثقة في الحاكم وابتعدت عنهم²، ودعموا بعض الحكام المنفصلين الذين أظهروا الورع والتقوى، وطالبوهم بالبقاء في سدة الحكم³، بينما حصد حكام الموحدين الاحتقار والازدراء⁴.

ويتضح من خلال ما سبق أن قيام دولة الموحدين كان على أساس المهدي وعصمته، فلما تلقب عبد المؤمن بأمير الموحدين ابتعدت عنه الرعية شيئاً ما، ولما ألغى المأمون خطبته من المساجد، اتخذ بعض الولاة ذلك حجة وانفصلوا عن العاصمة مراكش، كما أن مذهب المهدي المعقد عن التوحيد، واتجاهه للتأويل ساهم في عدم قناعة الرعية بها، وإن اتبعوها فإنهم كانوا أحياناً مكرهين على ذلك، ولما ظهر المذهب المالكي تمسكوا به ودافعوا عنه في الحركات الانفصالية، كما ساهم في ضعف الدولة ضعف الدين عند الجند الذين كانوا مزيجاً من البربر والعرب وحتى النصارى، زاد على ذلك ضعف الحكام من ناحية الدين وحتى الشخصية.

وخلاصة القول في هذا ، أن العصبية الواحدة لقبائل المصامدة، جمعتهم على الرغم من أنهم كانوا قبائل متعددة، شكلت فسيفساء جمعها الانتساب بالأصل واحد وهو النسب البربري رغم إدعاء بعضهم النسب القرسي. وأبرز مثال على ذلك زعيمهم محمد بن تومرت، الذي يؤكد بعض المؤرخين نسبه القرشي، وينفيه البعض الآخر، وبذلك ندرك أن المهدي كانت له فكرة سياسية منذ ادعائه ذلك النسب، حيث كان ذلك بداية لرسم طريقة لخطواته التي تلت ذلك من ادعاء الامامة، ثم المهودية واسقاط دولة المرابطين.

¹ جوليان: المرجع السابق، ج2، ص142. ويمكن أخذ هذا الرأي بتحفظ لأنه رأي استثنائي. على الرغم من أن الأندلس لا تشمل دراستنا هذه النظرية أو التطبيقية، إلا أنه تم الاعتماد عليها كمثال واضح في ضعف الوازع الديني، لأن معركة حصن عقاب لم تقم قائمة لجيش الموحدين بعدها.

² ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص205.

³ الفردبيل: المرجع السابق، ص284.

⁴ نفسه، ص287.

وقد تمكن المهدي بن تومرت من خلال رحلته من المغرب إلى الأندلس ثم توجهه نحو المشرق، واحتكاكه بعلماء هذه المناطق، من تأسيس مذهب خاص به، كان نقطة انطلاق للوصول لهدفه السياسي، وهو تأسيس كيان ببلاد المغرب.

كما تمكن المهدي من التنظير لكيانه السياسي مستعملاً مذهبه الديني الذي احتضنته قبائل المصامدة، حيث التحم الدين بالعصبية، مما سهل على عبد المؤمن فيما بعد من تأسيس هذا الكيان، وهذا ما كان يطمح له المهدي.

واستطاع عبد المؤمن من خلال دولة الموحدين توحيد بلاد المغرب من برقة إلى المحيط الأطلسي إضافة إلى بلاد الأندلس.

وما قد يعاب على عبد المؤمن إبعاد المصامدة عن الحكم، وجعل عصبية الحاكم في كومية، وأصبح الحكم وراثياً في أبنائه من بعده، مما كانت له تداعيات سلبية من ذلك تفكك عصبية المصامدة، وظهور الفتن الداخلية، التي أدت فيما بعد إلى تقسيم دولة الموحدين إلى عدة أجزاء.

وقد استمرت دولة الموحدين قوية في عهد عبد المؤمن وأبنائه الثلاثة من بعده (يوسف بن عبد المؤمن، يعقوب المنصور، محمد الناصر)، على الرغم من تزعزعها في بعض الفترات. وبعد هؤلاء الخلفاء بدا أن سقوط الدولة حتمياً، حيث ضعف الوازع الديني الذي قامت عليه هذه الدولة، وهو المهدي وعصمته، ومنهجة الديني وحتى أن خليفتهم المأمون ألغى اسم المهدي من الخطبة والسكة مما أدى إلى انفصال الدولة الحفصية انفصلاً نهائياً بسبب ذلك، هذا إذا قلنا أن المغاربة كانوا متمسكين بالمذهب المالكي خاصة بعد وفاة المهدي وتأكيدهم من أنه ليس الذي بشر به الرسول صلى الله عليه وسلم، لانتفاء الشروط فيه، وقد فرض المهدي عليهم بالقوة هذا المذهب في كثير من الأحيان.

ومجمل القول أن دولة الموحدين قامت على ازدواجية العامل الديني والعصبي، فبقوتها كانت الدولة قوية وما أن لا الضعف في هذين العاملين حتى دخلت الدولة في مرحلة الهرم والشيخوخة، وهي المرحلة الأخيرة من عمر الدولة.

الفصل الثاني

حضور الوازع الديني في إقامة وإسقاط الكيانات السياسية

1 الوازع الديني مفاهيميا

1-1- من وجهة نظر إسلامية

1-2- من المنظور الخلدوني

2- الدعوة الدينية والعصبية

1-2- الإطار العلائقي

2-2- الدعوة الدينية وتأسيس الكيانات السياسية

3- ضعف الوازع الديني ودوره السياسي

1-3- ضعف الوازع الديني

2-3- الأثر سياسي لضعف الوازع الديني

المبحث الأول : الوازع الديني مفاهيميا

1- من وجهة نظر إسلامية :

يحمل مصطلح الوازع عدة معاني منها : الدافع أو المحرك للأفعال وقد يأتي حتى بمعنى الرادع والمانع للفعل ، وله بذلك طبيعتان طبيعة باطنية وهي : الفطرة التي تدفع صاحبها للقيام بالأعمال المختلفة ، وطبيعة ظاهرة تعني: القوة الرادعة والمانعة من وقوع العمل أو الفعل بحيث استعمل ابن خلدون (ت808هـ/1406م). هذا اللفظ لعدة معاني، سواء على مستوى طبيعته الظاهرة أو الباطنية ، فقد قصد به الوازع الديني، واستعمله أيضا بمعنى الشعور العرقي أو العصبية¹، وذلك في قوله : «واحتيج إلى الوازع السلطاني والعصباني»²، وقصد بذلك حتى المعنى السياسي ، فالوازع السلطاني هو السياسي، والعصباني هو العصبى³ ، وأطلقه أيضا على الحاكم في قوله : « إنه لا بد لهم في الاجتماع من وازع حاكم يرجعون إليه ... ومنها الحاجة إلى الحكم الوازع والسلطان القاهر »⁴ وقد يحصل معنى الأخلاق⁵، كما في قول ابن خلدون(ت808هـ/1406م) : « لا يصددهم عنه وازع الحشمة »⁶.

يعتبر الوازع الديني العامل الأساسي في قيام الدولة الإسلامية حيث نشأت بوجود الأمر الإلهي⁷ وذلك مصداقا لقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ

فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥١﴾⁸

¹ سعد الله : المرجع السابق ، ص 216.

² ابن خلدون : المقدمة ، ص 220.

³ سعد الله : المرجع السابق ، ص 216.

⁴ ابن خلدون : المقدمة ، ص ص 53-55.

⁵ سعد الله : المرجع السابق ، ص 216.

⁶ ابن خلدون : المقدمة ، ص ص 53-55.

⁷ عبد الحميد إسماعيل الأنصاري : نظام الحكم في الإسلام ، دار قطري بن الفجاءة ، (د ط) ، الدوحة ، 1405 هـ ،

1985 ، ص 127.

⁸ سورة النساء : الآية 59 .

حيث انتهج الدين الرسول صلى الله عليه وسلم سياسة نابعة من الوحي الذي أنزل عليه ، أي بتفويض من الله تعالى لإقامة أمور الدين والدنيا في الأرض¹ ، فولاية الأمر دالة على وجوب توليه من هو أجدر بالطاعة ، وبذلك تقوم الدولة،² وهناك أدلة أخرى على وجوب قيام الدولة منها قولها:

تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾³ .

فالنبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يأتي بالأحكام الإلهية من عند الله ليحكم الناس ، فالسلطة مختصة بالله تعالى ، ويطبقها الرسول صلى الله عليه وسلم في الأرض عن طريق الوحي⁴ .

وقد قامت الدولة الإسلامية الأولى على أسس نذكر منها : بيعة العقبة الأولى في 12

سنة من البعثة (621م) ، وبيعة العقبة الثانية في 13 من البعثة (622م)⁵ ، وهما

تعتبران العقد التاريخي الذي قامت عليه هذه الدولة يضاف لذلك دستور المدينة الذي

تعتبر أول دستور في الإسلام ، يشمل المسلمين وأهل الكتاب الذين يعيشون في ظله

على السواء⁶ ، ويعتبر القرآن هو مصدر التشريع ، حيث يشمل الأحكام العقائدية

والخلفية وأحكام العبادات والمعاملات⁷ .

¹ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، تج : سمير مصطفى ريان ، المكتبة

العصرية ، (د ط) ، بيروت ، 1422 هـ / 2001 م ، ص 02 .

² صالح فرкос : تاريخ النظم القانونية والإسلامية ، دار العلوم ، (د ط) ، عنابة (الجزائر) ، 2001 ، ص 41 .

³ سورة آل عمران : الآية 79 .

⁴ أبو الاعلى المودودي : نظرية الاسلام السياسية ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ط 1 ، جدة ، 1405 هـ ، 1985 م ، ص 79 .

⁵ صفى الرحمن المبار كفوري : الرحيق المختوم ، دار المستقبل ، ط 1 ، الجزائر ، 1426 هـ - 2005 م ، ص ص 110-113 .

⁶ فرкос : المرجع السابق ، ص ص 41-42 .

⁷ ظافر القاسمي : المرجع السابق ، ص 31 ، وللمزيد حول دستور المدينة، ينظر: نفس المرجع ، ص ص 32-36 .

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم جاءت الخلافة الراشدة وهي خلافة النبوة في تسيير أمور الدين والدنيا¹ ، وقد استخلف أبو بكر الصديق سنة 11 هـ/622م² ، سقيفة بني ساعدة³ ، ثم كانت خلافة عمر ، ثم عثمان وبعده علي ، وما وقع لهذين الأخيرين من فتن انتهت بقيام الدولة الأموية⁴ وبهذا يمكن القول أن الدين الإسلامي هو الذي أنشأ وسير الدولة الإسلامية منذ نشأتها في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى نهاية العهد الراشدي ، بمقتل علي كرم الله وجهه ، فلما غابت العصية القبلية والحمية تفكك نظام الخلافة الراشدة⁵ .

بعد ذلك تشعبت الفرق الإسلامية ، ونشطت في مختلف أقطار العالم الإسلامي ، وأنشأت كيانات سياسية عن طريق الدعوات الدينية ، وحتى عندما لم تجد لها مكانا في المشرق في زمن الدولة الأموية ثم العباسية ، نقلت دعوتها لبلاد المغرب التي كانت أرضا خصبة لذلك⁶ ، وأنشأت كيانات كان العنصر المشترك فيها هو قيامها على أساس أساس الدعوة الدينية ، رغم ما تعرفه هذه المنطقة من تفشي لروح العصية⁷ .

2- من المنظور الخلدوني :

يرى ابن خلدون (808 هـ/1406م) أن الدول العظيمة الملك كانت في الأصل إما من نبوة أو دعوة دينية ، وذلك لأن الدين يدفع الناس إلى الحق وترك الباطل والتوجه لله تعالى وذلك يذهب التنافس ، وبه يحصل التعاون بين الرعية⁸ ، والدين يذهب الأخلاق السيئة كالكبر والتحاسد⁹ ، وإتباع الشريعة يحافظ على النظام على

¹ فركوس : المرجع السابق ، ص ص 44-45 .

² الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص 02 .

³ شمس الدين الذهبي : تاريخ الإسلام وفيات المشاهير والإعلام ، تح : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، (دط) ، بيروت ، (د ت) ، ج3 ، ص 5

⁴ للمزيد حول البيعة ينظر : عبد الله بن قتيبة الدينوري ، الإمامة والسياسة ، دار الكتب العلمية ، ط 3 ، لبنان ، 2009 ، ص ص 13-17 .

⁵ للمزيد حول دور العصبة في الفتنة بين علي ومعاوية ، ينظر : أبو جعفر بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (د ط) ، بيروت ، 1431 هـ - 1432 / 2010 م ، ج 1 ، ص ص 301-302 .

⁶ محمود عبد الرزاق إسماعيل : الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، دار الثقافة ، ط 2 ، الدار البيضاء ، المغرب 1406 هـ / 1985 م ، ص 24 .

⁷ لابيكا : المرجع السابق ، ص 203 .

⁸ ابن خلدون : المرجع السابق ، ص 169 .

⁹ نفسه ، ص 163 .

الرغم من أنه داخل الدول لا يطبق حرفياً لصوبة ذلك¹، ويرى أيضاً أن الحكم الإسلامي يجب أن يكون تابعاً من دعوة دينية نافعة للرعية في أمور المعاش والمعاد ، وذلك يؤدي في النهاية إلى السعادة .

فالحكم الذي ينتج عن القوة هو حكم بغير نور الله ، لأنه الله هو لأدرى بمصالح الناس كافة ، وأحكام السياسة الناتجة عن الدين والتي تؤدي في النهاية إلى صلاح الناس وأمورهم ، وبذلك كان الحكم الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين أفضل الفترات في الإسلام² وعليه تكون الخلافة توجيه الناس لمقتضى النظر الشرعي في مصالح الدين والدنيا³ .

وبهذا فتطبيق السياسة الشرعية من عبادات ومعاملات يدفع القيادة المجتمع بالسير على منهج الدين ، وحتى إن تدخل العقل في أمور السياسة ، مستند بذلك على القيم المادية والمعنوية والسياسية والاجتماعية ، فذلك يولد سياسة شرعية مدعومة بسياسة وضعية تابعة من الاجتهاد الإنساني العقلي⁴ .

إن الخلافة في نظر ابن خلدون (808هـ/1406م). كانت نتاجاً لمرحلة النبوة التي كان فيها المجتمع الإسلامي يسند حكمه للعدل والإنصاف الناتجة عن أحكام الدين ثم انقلبت بعد ذلك لملك لما تحصل العرب على الغنائم ثم عن الفتوحات الإسلامية ، فملك بنو أمية وانفردوا بالمجد⁽⁵⁾ ، وعليه فإن فترة الخلافة الراشدة هي فترة السياسة الشرعية بينما حكم بنو أمية هو امتزاج السياسة الشرعية بالسياسة الوضعية⁽⁶⁾ .

إن الكيانات السياسية التي قامت في ديار الإسلام كان عليها تطبيق جزء من الشرع لأنه يضمن الأمن والنظام وهما كان إتباعها للدين ، إلا أنها بالضرورة ستلجأ للعصبية التي تعتبر قوة تطبق بها الشرع وتحمي بها السلطة⁽⁷⁾ ، وعليه فالدين والعصبية عند ابن خلدون (808هـ/1406م). متلازمان ، وهذا ما سنوضحه في المبحث التالي .

¹ عبد الله العروي : مفهوم الدولة ، المركز الثقافي في العربي ، ط6 ، الدار البيضاء (المغرب) ، 1998م ، ص 98
² الجابري : المرجع السابق ، ص 201 .
³ ابن خلدون : المقدمة ، ص 201 .
⁴ سعد الله : المرجع السابق ، ص 119 - 120 .
⁵ الجابري : المرجع السابق ، ص 203 .
⁶ سعد الله : المرجع السابق ، ص 121 .
⁷ العروي : مفهوم الدولة ، ص 98 .

2: الدعوة الدينية والعصبية

1-2: الإطار العلائقي:

يرى ابن خلدون أن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية ، وذلك لأنهم أمة وحشية¹ ، تصعب قيادتهم ، فإذا اجتمعهم الدين أو النبوة هذب أنفسهم وأذهب التنافس والتحاسد والتكبر وهي صفات في المجتمعات البدوية التي تملك عصبية قوية (2) ، كما يدفع الدين الناس للتعاون والتعاقد ، ويكسب الدولة وحدة تصعب بدون وجود خاصة إذا استحكم في الأفراد واقتنعوا به قولاً وفعلاً³ ، وتألّف القلوب لا يقع إلا بمعونة من الله (4) حيث يقول تعالى :

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ

اللَّهُ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾⁵

إن أساس الدعوة الدينية يقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهذا يؤدي إلى تغيير العادات والأخلاق ، وهذا لا يتم إلا بالاعتماد على عشائر وقبائل قوية لتحقيق ذلك والوقوف وراءه لمساندته⁶ ، وحتى الإسلام منذ البداية قام على هذا الأساس الأساس حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « ما بعث الله نبياً إلا في منعة من قومه »⁷ أي أن الدين لا بد له من عصبية .

وعلى الرغم من ذلك فقد حاول الإسلام التخفيف من وطأة العصبية القبلية ، وأوصى بالأخوة بين المسلمين⁸ ، بل نص على تركها بنص صريح⁹ ، في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا

¹ لعله يقصد بذلك غلبة طابع البداوة ، والابتعاد عن الحضارة في تلك المرحلة ، وهو ما يمكن تأكيده فيما بعد.

² ابن خلدون : المقدمة ، ص 163

³ سعد الله : المرجع السابق ، ص 283 .

⁴ ابن خلدون : المقدمة ، ص 169

⁵ سورة الأنفال: الآية 63.

⁶ الجابري : المرجع السابق ، ص 189.

⁷ ابن خلدون : المقدمة ، ص 170.

⁸ موفق الدين عبد الله المقدسي : الأستبصار في سب الصحابة من الأنصار ، تج : علي نويهض ، دار الفكر ،

(د ط) ، بيروت ، 1392 هـ / 1792 م ، ص 8.

⁹ عبد المجيد بوقرية : نحن والدولة - مقارنات في الوعي السياسي العربي ، منشورات وزارة الثقافة

ط1، الجزائر، 2005، ص63.

إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾¹

بمقابل ذلك نجد قوله صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم و آدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم»²، ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى ، وذلك في خطبة الوداع ، وجاء في سيرة بن هاشم أنه قال : « يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتعظيمها بالأباء ، الناس من آدم و آدم من تراب »³ ونهى عنها في قوله أيضا: «... ومن قاتل تحت راية عميه يغضب لعصبة أو يدعوا إلى عصبة أو ينصر عصبة ، فقتل قتلة جاهلية ، ومن خرج عن أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ، ولا يقي لذي عهد فليس مني ولست منه»⁴ ومعنى ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن الدعوة للعصبية ، ويجب على المؤمن نصره الدين .

ويرى البعض أن ابن خلدون(808 هـ / 1406م). وجد أنه يمكن التوفيق بين الشريعة والعصبية ، فدعوة الإسلام لتترك العصبية لم دعوة لتركها بصفة مطلقة وكاملة ، إنما كانت نهيا عن توجيه العصبية وجهة غير صحيحة ، كالتعصب المؤدي للفتن والفرقة بين المسلمين ، وبالرغم من أن الأحكام الشرعية تنهى عن العصبية ، وقد تم توضيح ذلك فيما سبق ، إضافة إلى الافتخار بالسنين وغيرها من أشكال الحمية إلا أنه يمكن اعتبار الدين عاملا مهذبا للعصبية⁵.

إن العصبية القبلية التي تنشأ في المجتمعات البدوية ، تحتاج إلى عامل لجمع العصبيات وهو العامل الديني ، وبالمقابل فالعامل الديني لا بد له من عصبية تعتبر قوة مادية لنصرته ، وعليه فالعصبية والدين عاملان متلازمان متآزران ومتكاملان ، لدين

¹ الحجرات الآية 13.

² ينظر: محمد ناصر الدين الألباني: غاية المرام في تخريج الأحاديث الحلال والحرام، (دن)، (دط)، (دب)، (دت)، ص 190.

³ ابن هشام : السيرة النبوية ، تج : إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، مصطفى السقا ، مطبعة مصطفى الثاني الحلبي ، (د ط) ، مصر ، (د ت) ، ج 2 ، ص ص 113- 135.

⁴ أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري : صحيح مسلم ، تج : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، ط 1 ، (د ب) ، 1375 هـ / 1955 م ، ج 3 ، ص ص 1476-1477.

⁵ الدراجي : العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية وتاريخية ، ص ص 222-223.

يزيد من قوة العصبية ويخفف مظاهر التعصب ، والدعوة الدينية القائمة على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا بد لها من عامل يفعلها عمليا وهذا لا يتحقق إلا بالعصبية¹ . إذن ف « الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم »² ، والعصبية لا يمكنها الصمود طويلا دون دعوة دينية³.

ولتأسيس دولة والاستيلاء على السلطة لا بد من عصبية قوية يردعها الوازع الديني لأن غاية العصبية هي الملك، وهذا يتم إلا بدعوة دينية⁴.

2-2 الدعوة الدينية وتأسيس الكيانات السياسية :

إن الدعوة الدينية ضرورة للدولة باعتبارها قوة معنوية تساعد على التماسك⁵، التماسك⁵، إذا أن الدين إذا أمكن تطبيقه يحافظ على حقوق الأفراد ومصالحهم ، فالقوة المادية التي تتمثل الجند لا تكفي وحدها لحماية الدولة ، إذ لا بد من القوة المعنوية التي يمثلها الدين⁶ ، فإذا تحققت الدعوة واقتنع أهلها بها أصبحوا يدافعون عنها بكل قوة وعن وعن قناعة ، والمحرك هنا هو العصبية التي يدعمها الدين فيزيدها قوة عن قوتها، إذا أنه كانت العصبية الكبرى تذوب بقية العصائب وتصهرها ، فالدين يضاعف من وحدتها وتماسكها⁷ ، وقد قامت الكيانات السياسية على أساس العلاقة التي تربط الدين بالدولة⁸ .
بالدولة⁸.

إن الدعوة الدينية الفاعلة في قيام الكيانات السياسية تشمل عناصر منها : النبوة، والخلافة والمهدوية التي سنحاول شرحها فيما يلي :

تشمل الدعوة الدينية النبوة التي تأتي لتنشأ وتطور دولة مرتكزة على العصبية، وهذا ما يحدث في المجتمعات البدوية حيث أن النبي إذا كان من قومه فيأمرهم بما أمره الله ويدعوهم لمحاسن الأخلاق فهو يجمدهم ، وبذلك يحصل الملك في النهاية وقد أعطى

¹ الجابري : المرجع السابق ، ص 189.

² ابن خلدون : المقدمة ، ص 190.

³ الجابري : المرجع السابق ، ص 190.

⁴ عبد الله العروي : مجمل تاريخ المغرب ، المركز الثقافي العربي ، ط 2 ، الدار البيضاء (المغرب)، بيروت ، 2009 ، ص 349.

⁵ سعد الله : المرجع السابق ، ص 283.

⁶ أبو الحسن الماوردي : تسهيل النظر وتعجيل الظفر، في أخلاق الملك وسياسة الملك ، تح: محي هلال السرحان ، دار النهضة العربية ، (د ط)، بيروت ، 1981 ، ص 146.

⁷ ابن خلدون : المقدمة ، ص 170.

⁸ سعد الله : المرجع السابق ، ص 213 .

ابن خلدون العرب مثالا على ذلك ، حيث أن البدو يملكون فطرة تدفعهم إلى قبول ما يأتي به الدين من مكارم الأخلاق¹، وبهذا فإن ابن خلدون(808هـ/1406م). يؤكد أن النبي أو الرسول صلى الله عليه وسلم إذا ملك قوة عصبية فبإمكانه إنشاء دولة ، وأجل مثال على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم² ، حيث كانت بداية دعوته³ أو بالأحرى بالأخرى دولته من خلال بيعتي العقبة الأولى والثانية ، وصحيفة أو دستور المدينة ، وكان التشريع نابعا من القرآن الكريم⁴ ، وأقام حكمه على أساس الشورى⁵.

وبذلك توافرت عناصر قيام الدولة من: مجتمع، ووطن، وتشريع وسلطة حاكمة،⁶ فقد كان للنبوّة الدور الرئيسي في قيام دولة الإسلام الأولى.⁷

أما الخلافة : والتي ظهرت عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأجل رئاسة الدولة الإسلامية⁸ ، وخلافة النبوة في السهر على سير أمور الدين والدنيا⁽⁹⁾، وقد استمرت دولة الإسلام على نقد الأساس باعتماد الدين حكما وشريعتا وهكذا كانت خلافة الخلفاء الأربعة قد شابها الملك وبذلك يمكن تسميت الخلافة بالملك¹⁰، إلي أن تحركت العصبية وقضت على نظام الخلافة¹¹ ، وبالنسبة للمهديين فترجع جذورها لزمان الرسول صلى الله عليه وسلم ، حين بشر بالمهدي¹² الذي يقتل الدجال¹³ ، ويؤم

¹ ابن خلدون : المقدمة ، ص 164 .

² سعد الله : المرجع السابق ، ص 177.

³ للمزيد حول انتشار دعوته في مختلف الربوع خاصة شبه الجزيرة العربية ، ينظر : علي بن ربي الطبري ، الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، تج : عادل نويهض ، دار الآفاق الجديدة ، ط 3 ، بيروت ، 1979 ، ص ص 108 - 113 .

⁴ فركوس : المرجع السابق ، ص ص 41 - 43 .

⁵ الأنصاري : المرجع السابق ، ص 46 ، وللمزيد حول نظام الشورى في الإسلام، ينظر : محمد رشيد رضا : الخلافة، الخلافة، موقف للنشر، (دط)، الجزائر، 1992، ص 15

⁶ فركوس : المرجع السابق ، ص 43 .

⁷ سعد الله : المرجع السابق ، ص 177 .

⁸ ظافر القاسمي : نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي ، دار النفائس ، ط 5 ، بيروت ، 1405 هـ / 1985 ، ص 55.

⁹ الماوردي : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ص 13 .

¹⁰ ابن تيمية أبو العباس تقي الدين بن حليم: الخلافة والملك، تج: حماد سلامة، شركة الشهاب، (دط)، الجزائر، (دت)، ص 31..

¹¹ سعد الله : المرجع السابق ، ص 213 – 214 .

¹² للمزيد حول الأحاديث التي وردت عن المهدي ، ينظر : ابن خلدون : المقدمة، ص ص 317-334.

¹³ للمزيد حول الأحاديث التي وردت عن الدجال ، ينظر: البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، المكتبة العصرية، (دط)، بيروت، 1424هـ/2003م ، ج 4، ص ص 102-130.

الناس في الصلاة¹ ، ويرى ابن خلدون أن حاجة الناس لظهور الشخص الذي ينقذ الناس الناس من الأوضاع السيئة التي يعيشونها ، حيث يقيم العدل ، ويعيد الرعية لزمن الخلفاء الراشدين ، بدفعهم للتصديق كل مرة بظهور شخص يدعى المهدي² ، ويصبح خيرها الزعيم المفدى لدى هؤلاء ، ويحاول هذا الشخص تقليد الرسول صلى الله عليه وسلم في أعماله ، وقد يضل رعيته عن طريق المعجزات والخوارق ، وقد يصل حتى إلى انتحال كتب من القرآن الكريم ، وحتى يصل في مكانته عند رعيته لمكانة الرسول صلى الله عليه وسلم بل وحتى التأليه³.

ومن خلال هذا الطرح نجد أن الدين من العوامل الأساسية في بناء الدول ، وأوضح مثال على ذلك الدولة الإسلامية التي أقامها الرسول صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدين من بعده حيث كانت دولة شرعية عملت على نشر مبادئ الإسلام السامية ونشرت العدل والأخوة ودعت لنبذ العصبية ، مما وحدا القبائل البدوية المتفرقة والتمسكة بعصبياتها أمام هدف واحد وهو نصره هذا الدين⁴.

هذا ويمكن القول أن الدعوة الدينية تزيد من قوة التحالفات العصبية حيث تؤلف القلوب والعقول بعد أن تألفت العصبيات ، فتجد الجماعات لخدمة قضية واحدة محددة⁵، وقد كانت بلاد المغرب الأنموذج الواضح لذلك حيث استقطبت في العصر الوسيط الدعوات المتعاقبة من بلاد المشرق الإسلامي من خوارج وشيعة وسنة⁶.

¹ ابن خلدون : المقدمة ، ص 317 .

² الجابري : المرجع السابق ، ص 204 .

³ مغربي : المرجع السابق ، ص 160 .

⁴ خضير : المرجع السابق ، ص 151 .

⁵ لايبكا : المرجع السابق ، ص 105 .

⁶ نفسه ، ص ص 202 - 203 .

3: ضعف الوازع الديني ودوره السياسي :

3-1: ضعف الوازع الديني :

يلعب الوازع الديني دوراً هاماً في قيام وضعف الكيانات السياسية ، حيث إذا تم الاعتماد على الشريعة في بداية الدولة ، فهي تزيد قوتها على قوتها ، خاصة إذا ألجأت للعصبية كقوة مادية لتطبيق ذلك ، وهذا ما يؤدي لقيام دولة عادلة منظمة تطبق الشريعة وتستعمل العصبية لذلك¹ ، هذا أو إذا بلغت الدولة درجة من القوة دخلت مرحلة الحضارة والترف ، وكما كان هذا الأخير عاملاً لضعف العصبية فهو عامل لضعف الدين داخلها ، فزيادة المصاريف من أجل تغطية النفقات المتزايدة للدولة يؤدي إلى الابتعاد عن الدين والدعوة له² حيث أنه إذا بلغ الإسراف درجة عالية ، وكثرت نفقات الدولة ورعيته ، فهذا يؤدي إلى الاتجاه للكسب بطرق غير شرعية من سرقة وغش وربما ، وانحراف عن الدين والأخلاق ، فإذا فسد الدين والأخلاق كما يرى ابن خلدون (808هـ/1406م). فإن ذلك يبنى بالخراب والهلكة³ ، وذلك مصدقاً لقوله تعالى : ﴿وَإِذَا

أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيَّ الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ۝١٦﴾⁴

كما أن الابتعاد عن الدين يؤدي بدوره إلى الظلم الذي يؤدي الاعتناء على ممتلكات الشعب ، وحقوقه ، وهذا ما يؤدي لتدهور الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، مما يدفع هذا الناس مع مرور الوقت للتذمر ، وقد يتجهون حتى لقتل الحاكم ، وهذا مقدر بفساد السلطة وانتشار الفوضى⁵ .

سكماً أن ضعف الوازع الديني له لأثر كبير على ضعف الحركة العلمية داخل الدولة ، إذ أن التدهور في مختلف نواحي الحياة يدفع الرعية للسعي وراء عيشها دون الاهتمام بالحياة العلمية حتى من طرف النخبة ، بالرغم مما يحققه العلم من فوائد تشمل

¹ العروي : مفهوم الدولة ، ص 98 .

² لايبكا : المرجع السابق ، ص 101 .

³ ابن خلدون : المقدمة ، ص ص 376 377 .

⁴ سورة الإسراء : الآية 16 .

⁵ خضير : المرجع السابق ، 158 – 169 .

تطور وتجدد مختلف نواحي الحياة ، وهذا التوجه : - ليسعى وراء العيش وترك العلم - يقود إلى التخلف الحضاري ورجوع الدولة لمرحلة الضعف¹ .

يعتبر الدين عند المجتمعات الإسلامية والعربية محور الحياة وأساسها ، سواء كانت السياسية أو الاجتماعية أو الروحية وحتى الاقتصادية ، فإذا ابتعد المجتمع عن الدين فسدت طباعه الخاصة إذا مس ذلك معظم مظاهر الحياة ، ففساد الدين عندها يفسد المجتمع والعصبية والسياسية وغيرها ، ويترك الخلل حينها أبواب الدولة² .

2-3 الأثر السياسي لضعف الوازع الديني :

يعتبر ضعف الوازع الديني عاملاً رئيسياً في ضعف الكيانات السياسية ، والدعوة الدينية تتطور بتطور الحضارة والعمران البشري والعصبية ، فالانغماس في الترف وحياة البذخ يقود إلى ضعف العصبية ، والابتعاد عن الدين ناتج عن تتبع الشهوات والملذات المختلفة³ ، هذا الابتعاد يؤدي إلى غياب تحكيم الشريعة ويجر ذلك للظلم المؤدي للاعتداء على حقوق الرعية وفرض الضرائب الغير مشروعة والغرامات ، خاصة عند الحاجة للمال وقت الحرب ، وهذا ما يقود إلى تدهور الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، وضيق حالة عيش الناس ، بل قد يؤدي حتى إلى ضعف النشاطات المختلفة للرعية في العمل كالتجارة والزراعة وغيرها ، هروبا من الضرائب مما يرجع الدولة للحياة البدوية في حالة الضعف⁴ .

ويؤثر غياب الدين حتى على الجانب الروحي في الرعية وحتى الحاكم فعوض اللجوء للدين في حالة الحاجة له ، يلجأ ون إلى الطرق غير الشرعية ، وإذا صح القول البدائية مثل اللجوء للسحرة والكهان والمتنبئين ، مما يؤدي إلى انتشار هذه المظاهر من قمة السلطة إلى القاعدة وهي الرعية⁵ .

¹ لايبكا : المرجع السابق ، ص 102 .

² البخاري حمادة : الموسوعة التاريخية، للشباب - ابن خلدون، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، (د ط) ، الجزائر ، 1984 ، ص 124 .

³ لايبكا : المرجع السابق ، ص 101 .

⁴ خضير : المرجع السابق ، ص 158 .

⁵ لايبكا : المرجع السابق ، ص 100 .

وإذا اعتبرنا الدين هو القوة المنظمة لشؤون الدولة والرعية وحفظ الأمن فإن غيابه يؤدي لاختلال النظام ، وغياب الأمن داخليا¹ ، فالرعية قد ابتعدت عنه فدب فيها الفساد وسوء الأخلاق ، والحاشية التي أهملت شؤون الرعية وأصبحت تعمل لحسابها الخاص²، ونسيت العصبية ، فتلجأ الدولة حينها إلى المرتزقة والذين غالبا ما يكونون بعيدين عنها بل وحتى من غير دين الدولة ، مما يدفع إلى التهاون في حماية حدود الدولة ، وهذا يضاعف الخطر الخارجي لأن هم هؤلاء هو المال فلا هدف ديني ولا سياسي ولا عصبي يدفعهم للفناء في سبيل هدفهم ، أو دفاعا عن دولتهم ، مما يؤدي إلى سهولة القضاء على دولتهم في حالة تجسيد هذا الخطر³ .

أضف إلى ذلك الوازع الديني عندما يظهر يذيب العصبية ويوحدها لهدف واحد ، فإذا ضعف هذا الوازع ، ثم إحياء العصبية ، وتعددها ، ويبدأ على إثرها التصارع بين هذه الأخيرة حول أمور السلطة ، وحتى بينها وبين السلطة القائمة في محاولة لإطاحتها ، مما يرهقها ، ويكسر سقوطها⁴ ، وقد حدث ذلك كثيرا ببلاد المغرب الإسلامي ومثال ذلك ما حصل للدولة الرسمية في أواخر عهدها حيث أنها اجتمعت في البداية على أساس دعوة دينية ، وهي المذهب الإباضي ، وكانت هذه الدعوة هي الجامع بين العصبية المختلفة ، ولما ضعف المذهب مع مرور الوقت ، برزت العصبية من جديد وظهرت التغيرات القبلية ، فتعزز النزاع القبلي مما عجل لفناء الدولة الرستمية وذلك في مرحلة الحضور الفعلي للعصبية خلال الفترة ما بين 258-281 هـ / 788-895 م وتميزت هذه الاخير بضعف الوازع الدين إن ضعفه يؤدي إلى ابتعاد الحاكم عن رعيته بانغماسه في النعيم ، مما ينتج عنه ابتعاد رعيته عنه ، وإذا كانت السلطة خادمة للرعية والشعب هو ركيزة السلطة ، فإن تعاونهما يؤدي إلى قوة الدولة ، ويعيهما، للعمل من أجل ذلك ، أما إذا ابتعد كل منهما عن الآخر ، وانشغل بالسعي وراء عيشه ومصالحه ، فإن ذلك سيؤدي حتما لضعف الدولة وفنائها⁵.

¹ العروي : مجمل تاريخ المغرب ، ص 395 .

² لابيكا : المرجع السابق، ص 100.

³ العروي : مجمل تاريخ المغرب ، ص 394

⁴ نفسه ، ص 395.

⁵ محمود عبد الرزاق إسماعيل : المرجع السابق ، ص 170 .

ومجمل القول أن الدين هو الذي أنشأ الدولة الإسلامية والتي كان قائدها الرسول صلى الله عليه وسلم ثم الخلفاء الراشدين من بعده ، حيث كانت دولة شرعية نظمت وقيدت على أساس الحكم الإسلامي ، وما إن بدأت بوادر العصبية القبلية تغطي على العامل الديني حتى بدأ التصدع في نظام ، الخلافة الراشدة منذ عهد عثمان رضي الله عنه .

أما من منظور خلدوني ، فإن الدعوة هي التي توحد الناس بحملهم على أوامر الشريعة ونواهيها ، يدفعهم ذلك للتعاون في سبيل المصلحة العامة ، فإذا حكم الدين الناس كان النظام شرعياً ، وإذا امتزج مع حكم العقل فهي أمور السياسة حينها كان النظام ممتزجاً بين الشرعية والوضعية ، فالأول خلافة والثاني ملك .

ويرى ابن خلدون أن الدين والعصبية متلازمان حيث أن الدين يهذب العصبية ويدفعها للتوحد في سبيل هدف واحد، أما العصبية فهي القوة المادية المساعدة على تطبيق الدين في الدولة.

إن الدين أو الدعوة الدينية قد تمكنت من تأسيس كيانات سياسية سواء عن طريق النبوة ، أو الخلافة أو حتى المهدية والتي نشطت في بلاد المغرب الإسلامي وأسست الدولتين الفاطمية والموحدية . وما إن يضعف الوازع الديني سواء عن طريق الترف أو الظلم وغيرها ، حتى يبدأ المجتمع بالتفكك ، وتبدأ السلطة في الابتعاد عن الرعاية والعكس ، مما ينتج عنه تفكك القبائل وبروز العصبية القبلية ، وبداية منازعة إحداهما أو بالأحرى أقواها ، السلطة الحاكمة التي تبدأ بالضعف ثم الأفول.

إن هذا الموضوع محل التناول ليعد من أبرز الموضوعات التي لا تزال بحاجة إلى المزيد من الدراسة، خاصة و أن ما بدا لنا في هاته الدراسة ليؤكد أهمية أن يدرس التاريخ المغربي بصورة تسمح بإجلاء المزيد من الحقائق . و ما الجهد الذي قمنا به الا مجرد محاولة لإثارة الإشكالات و محاولة الإجابة عليها.

و نحن من خلال محاولتنا دراسة الموضوع، وعلى ضوء ما اطلعنا عليه من مصادر ومراجع، حاولنا الخروج بعدد من الاستنتاجات نذكر منها:

- 1- أن جغرافية بلاد المغرب أثرت على توزيع وتنوع القبائل مما شكل فسيفساء قبلية، ميزتها عدة ظواهر كان لها الأثر في المسار التاريخي للمنطقة.
- 2- إن من أبرز الظواهر المحركة للمسار التاريخي في بلاد المغرب هي العصبية القبلية التي تكون نتيجة طبيعة للتلاحم في النسب أو قد تكون نتيجة المصالح المشتركة أحيانا، وهذا لا يكون إلا في المجتمع البدوي.
- 3- أن القبيلة تحوي مجموعة من العصبيات، تتطلع أقواها إلى السيطرة على القبيلة، فإذا كان لها تطلع ضمنت عصبيات القبائل الأخرى، هذا التطلع يقود حتما إلى الصراعات القبلية، خاصة إذا التقت عصبيات قوية في اطار هذا الصراع. وبهذا تكون العصبية القوية داخل القبيلة هي القائد نحو السلطة.
- 4- إن قامت هذه العصبيات لدولة، واحتكاكها بالحضارة، يؤدي إلى زيادة قوتها، فإذا بدأت الأولى في الغياب، تظهر أمراضها جليا، وتؤدي لانهايار هذه الدولة .
- 5- وعلى الرغم من هذا الدور الهام للعصبية، فإنها لا تستطيع وحدها إقامة دولة، فلا بد من عنصر آخر وهو الوازع الديني، ومثالنا الواضح على ذلك دولة النبوة التي بدأ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بالتربية الاجتماعية، ثم انتقل للفكر السياسي بعد ذلك، وأنشأ دولة على أسس وقواعد ثابتة وهو ما أعيد استنساخه ببلاد المغرب.
- 6- إن دعوة الإسلام لتهديب العصبية لم تنفيها، ودليل ذلك اعتمادها على العصبية القرشية خاصة، كما أن العمل على تهذيبها كان بالتدرج من طرف الرسول صلى الله عليه وسلم .

- 7- أنه من خلال العمل على إنشاء الدول لابد من توازي العامل العصبي مع العامل الديني، وهذا ما بد واضحا في دولة الموحدين حيث أن ابن تومرت خصص مذهباً لأنصاره، معتمداً على عصبية المصامدة.
- 8- على الرغم من أن العامل الديني ظهر الوحيد من خلال مسيرة، ابن تومرت، إلا أن هذا الأخير كان يحمل أحلاماً سياسية، ليس منذ لقائه بابن تومرت وحسب، بل منذ إعلانه النسب الشريف الذي كان أولى الدرجات لصعود سلم بناء الدولة.
- 9- إن طبيعة إتباع الأنصار للمهدي سواء كانت عن طريق القناعة أو الإكراه، أدى لنتيجة واحدة، وهي زيادة قوة المصامدة الذين استطلعوا إسقاط الدولة القائمة، وإقامة كيان خاص بهم، وحد بلاد المغرب، حيث امتد من حدود مصر إلى المحيط الأطلسي ومن البحر المتوسط إلى بلاد السودان، فكان توحيد الأرض والعقيدة معاً.
- 10- كانت دولة الموحدين بين فكرة دينية نظر لها ابن تومرت كفكرة تقوم على أساس عقيدة خاصة، فطغى العامل الديني في عهده، نفذ بعدها عبد المؤمن فكرة هذه الدولة، وبرز في عهده العامل العصبي، مع وجود العصبية في المرحلة الأولى، والعامل الديني في المرحلة الثانية، فكانت هذه الدولة نموذجاً لتلاحم العصبية والعامل الديني داخل المجتمع المصمودي، مما أدى إلى تأسيس دولة قوية ثابتة الأركان.
- 11- بما أن دولة الموحدين قامت على أساس دعوة دينية كان مبدؤها عصمة المهدي، فإن وفاته كانت بمثابة بداية إعلان الاستقلال الروحي للمخلصين له أو المتحكين بذلك.
- 12- ومن خلال تتبع مسار شخصية المهدي بن تومرت يمكننا استخلاص أن: مسار دعوته كان فريداً من نوعه، حيث اتبع العديد من الطرق والحيل لكسب الأنصار، فاتبع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لاكتساب تجربة سياسية، ومعرفة مدى تقبل الناس لمنهجه، وادعى المهدي بعد ذلك للسيطرة على هؤلاء، مستغلاً في ذلك الركود الفكري الذي عاشته دولة المرابطين بسبب تحريمهم لعلم الكلام والتأويل وغيرها، وكان هنا الطريق الذي سلكه ابن تومرت نتيجة طبيعة لنهله من عدة مدارس وأخذ ما يلائمه من كل منها.

13- على الرغم من أن عبد المؤمن يعتبر مؤسس دولة الموحدين، وباني أركانها القوية الثابتة، إلا أنه بث فيها في نفس الوقت بذرة فنائها، عن طريق إلغاء شيوخ المصامدة من حكم دولته، وتوريثه لأبنائه من بعده.

14- أحدث إسقاط عصمة المهدي فرضي في دولة الموحدين، وساهم في زيادة ضعفها، زاد على ذلك بروز الغرات القبلية المضمونة بالقوة، ومثالها عرب بني هلال.

15- ومن خلال محاولتنا دراسة الموضوع النظرية والتطبيقية حاولنا الخروج بنتيجة ملمة بالموضوع وهي أن:

العلاقة بين السلطة والقبيلة في بلاد المغرب تميزت غالبا بقيام الدولة على أساس القبائل وعصبيتها، سواء بالانضمام أو الضم، واحتضانها للفكرة الدينية، مما أدى لتلازم العاملين فأرسى ذلك قواعد دول قوية، وما إن يظهر التمرد الذي يكون غالبا من العصبيات المضمومة، يبدأ الضعف يتسلل تدريجيا إلى الدولة، ويصبح زوالها ضرورة حتمية، سواء ساعدها العامل الزمني أو العكس، ودولة الموحدين من النماذج البارزة على ذلك. ان ما نستطيع التأكيد عليه، باعتباره أهم نتيجة نعتقد التوصل إليها في منتهى هذا العمل ، هو أن تاريخ بلاد المغرب في عمومه، قد ارتبط على الأقل في الفترة محل الدراسة بالقبيلة أيما ارتباط، و كانت قد ظهرت بذلك القبلية أنها هي أساس السلطة في بلاد المغرب.

القرآن الكريم برواية ورش

أولا المصادر:

1. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت256 هـ/869م): **صحيح البخاري**، المكتبة العصرية، (د ط)، بيروت، 1424هـ/2003م .
2. مسلم، أبو الحسين بن الحجاج : **صحيح مسلم** ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، ط1 ، (د ب)، 1375هـ/1955م .
3. ابن الأثير، أبو الحسن على(ت630هـ/1232-1233م): **الكامل في التاريخ**، دار الكتب العلمية، ط4، بيروت، 2003م.
4. الإدريسي، محمد العزيز الشريف (ت584هـ/1188-1189م): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، 1414هـ/1994م.
5. **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس** (مقتبس من كتاب نزهة المشتاق)، تح، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، (د ط)، الجزائر، 1983.
6. البغدادي، عبد القاهر بن طاهر: **الفرق بين الفرق**، تح: محمد محي الدين، دار المعرفة، (د ط)، بيروت، (د ت).
7. البلخي، أبي زيد أحمد بن سهل : **البدء و التاريخ** ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1417هـ/1997م .
8. البيهقي، أبو بكر الصنهاجي: **المقتبس من كتاب الإنسان في معرفة الأصحاب**، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور، (د ط) الرباط، 1971م.
9. (— . —) **أخبار المهدي بن تومرت**، تح: عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1986.
10. البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد: **المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب**(وهو جزء من كتاب المسالك والممالك)، دار الكتاب الإسلامي، (د ط)، القاهرة، (د ت).
11. ابن تومرت محمد: **أعز ما يطلب**، تح: عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د ط)، الجزائر، 1985م.

12. الألباني، محمد ناصر الدين: **غاية المرام في تخريج الأحاديث الحلال والحرام**، (دن)، (د ط) (د ب)، (د ت) .
13. ابن تيمية ،أبو العباس: **الخلافة والملك**، تح: حمادة سلامة ،شركة الشهاب، (د ط) الجزائر ، (د ت) .
14. ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد(ت540هـ/1146م) : **رحلة ابن جبير**، دار القصة للنشر،(دط)، الجزائر، 2001.
15. الجرجاني، الشريف علي بن محمد: **كتاب التعريفات**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1403هـ/1983م.
16. الجزنائي علي: **جني زهور آس في بناء مدينة فاس**، تح: الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، ط2، الرباط، 1411هـ/1991م.
17. ابن حزم ،الأندلسي أبو محمد علي بن السعيد(ت 456هـ / 1062-1063 م) : **جمهرة أنساب العرب** ، تح : إلفي بروقبسال ، دار المعارف (د ط) ، مصر، 1948م.
18. الحصري، محمد بن عبد المنعم: **الروض المعطار في خير الأقطار**، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، 1975.
19. ابن الأحمر، إسماعيل: **تاريخ الدولة الزيانية**، مكتبة الثقافية الدينية ،بورسعيد، ط1، 2001.
20. الحموي، ياقوت: **معجم البلدان** ، دار صادر ، (د ط)، بيروت ، (د ت) .
21. الحنبلي، أبو الفلاح عبدالحى بن العماد: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، (د ط)،المكتب التجار للطباعة والنشر والتوزيع،(د ب)،(د ت).
22. ابن حماد ، أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي (ت 626هـ / 1235 – 1236 م) : **معجم البلدان** ، (د ط)، دار صادر ، بيروت ، (د ت) .
23. ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي(ت 367هـ/977م) : **صورة الأرض** ، منشورات مكتبة الحياة ، (د ط) لبنان ، 1995.
24. ابن خردادبة، أبو القاسم عبيد الله: **المسالك والممالك**، دار صادر، (دط)، بيروت، 1989.

25. ابن الخطيب، لسان الدين: **الحلل الموشية في الأخبار المراكشية**، معهد الدراسات العليا، (د ط)، الرباط، 1939.
26. ابن خلدون، عبد الرحمان : **تاريخ بن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم البربر** ، دار الكتب العلمية ، ط3 ، بيروت ، 2006.
27. - . - : **المقدمة** ، دار الفكر ، (دط) ، بيروت ، 1427/1428هـ/2007م.
28. ابن خلدون، يحيى: **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تح: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، (دط)، الجزائر، 1400هـ/1980م.
29. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين (ت 681هـ/1290-1291م) : **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، (دط)، بيروت، (دت) .
30. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عمان (ت 748هـ/ 1374م) : **سير أعلام النبلاء**، تح: شعيب، الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1406هـ/1986م.
31. شمس الدين الذهبي : **تاريخ الإسلام وفيات المشاهير والإعلام** ، تح : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، (دط) ، بيروت ، دت
32. الرازي، محمد بن أبي بكر: **مختار الصحاح** ، دار الفكر للطباعة ، بيروت ، (دت).
33. ابن أبي زرع ، أبو الحسن على بن عبد الله الفاسي (ت ق 8 / 14 م) : **الأئيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، صور للطباعة والوراقة، (دط)، الرباط، 1972.
34. الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم: **تاريخ الدولتين والموحدية و الحفصية**، تح: محمد ماطو، المكتبة العتيقة، ط2، تونس، 1966م.
35. الزركلي، خير الدين : **الأعلام** ، مطبعة دار الملايين، ط3، بيروت، 2000م .
36. ابن سعيد، المغربي أبو الحسن علي بن موسى (ت 685 هـ/ 1294/1295م) : **كتاب الجغرافيا**، تح إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية (دط) الجزائر ، 1982 .
37. الزنجاني، محمود بن أحمد : **تهذيب الصحاح** ، تح : عبد السلام محمد هارون أحمد عبد الغفور عطاء ، دار المعارف ، (دط) مصر ، 1371 هـ ، ج1.
38. السلوي، العباس بن خالد الناصري (1315 هـ / 1897 م) : **الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى** ، تح : محمد عثمان ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، (دت) .

39. ابن سماك، أبو القاسم محمد بن أبي العلا محمد المالقي الغرناطي: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح، عبد القادر بوبابة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2010م .
40. الشماخ، أبو عبد الله محمد بن أحمد: **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تح: الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، (دط)، دب، 1984.
41. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت548 هـ/1153-1154 م): **الملل والنحل**، تح، محمد سيد الكيلاني، (دط)، دار المعرفة، بيروت، (دت).
42. ابن صاحب، الصلاة عبد المالك: **المن بالإمامة تاريخ المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، تح: عبد الهادي النازي، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، 1987.
43. الطبري أبو جعفر محمد بن جرير: **جامع البيان في تفسير القرآن**، دار المعرفة، (دط)بيروت1987م.
44. ——— أبو جعفر بن جرير(ت310هـ/922-923م): **تاريخ الطبري** ، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع، (د ط) ، بيروت ، 1431 هـ - 1432 / 2010 م .
45. الطبري علي بن ربه : **الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم** ، تح : عادل نويهض ، دار الآفاق الجديدة ، ط 3 ، بيروت ، 1979.
46. ابن عبد الحكيم : **فتوح مصر و المغرب** ، تح : علي محمد عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، (د،ط)القاهرة ، 1425هـ/2004.
47. عبد الله بن قتيبة الدينوري : **الإمامة والسياسة** ، دار الكتب العلمية ، ط 3 ، لبنان ، 2009.
48. ابن عذاري، المراكشي(ت ق7هـ/17م): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: إيفي بروقسال ، سكولان ، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983.
49. العسقلاني بن حجر: **فتح الباري لشرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي، ط2، بيروت، 1406هـ.
50. الوزان حسن بن محمد الفاسي(ق 16م) : **وصف إفريقيا** ، تر : محمد الأخضر ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1983م.

51. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت 671هـ/1273م) : تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ، دار الشروق _ دار الشعب ، (دط) القاهرة ، (دت) .
52. القزوني زكريا بن محمد: آثار البلاد وأخبار العباد، (دت)، دار صادر، (دط)، بيروت، 1998.
53. ابن القطان أبو محمد حسن المراكشي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: علي مكي، دار الغرب الاسلامي، ط1، لبنان، 1990.
54. القلقشندي أحمد ابو العباس(ت821هـ/1430-1431م): نهاية الأدب في معرفة انساب العرب ،دار الكتب العلمية ،ط1،بيروت،1405هـ/1984م.
55. — . — : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ،المطبعة الأميرية،(دط)،القاهرة ، 1322هـ/1914م .
56. القيرواني أبو عبد الله محمد الرعيني(ت 11هـ/17م) : المونس في أخبار إفريقية وتونس ،تح محمد شمام، المكتبة العتيقة ،ط1387،3هـ.
57. ابن كثير الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس،ط7،بيروت،1405هـ/1985م .
58. — . — : البداية والنهاية، تح أحمد جاد(دط)،دار الحديث القاهرة 2006.
59. — . — : طبقات الشافعية، تح: عبدالحفيظ منصور، دار المدار الإسلامي، ط1،بيروت،2002،ج1،صص 17-67.
60. الماوردي أبو الحسن : تسهيل النظر وتعجيل الظفر، في أخلاق الملك وسياسة الملك ، تح: محي هلال السرحان ، دار النهضة العربية ،(د ط)، بيروت ، 1981 .
61. — . — : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، تح : سمير مصطفى ريان ، المكتبة العصرية ،(د ط)، بيروت ، 1422 هـ / 2001 م .
62. مخلوف محمد بن محمد: شجرة النور الذكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1394هـ .
63. المقري أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، (دط)، بيروت، 1388هـ/1968م.

64. المقريري تقي الدين أحمد بن علي (ت845 هـ/1441-1442 م): البيان والإعراب عمال بأرض مصر من الإعراب، تح: عبد الحميد بدين، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1996م.
65. المقدسي موفق الدين عبد الله: الأستبصار في سب الصحابة من الأنصار، تح: علي نويهض، دار الفكر، (د ط)، بيروت، 1392 هـ/1792 م.
66. ابن منظور جمال الدين (ت711 هـ/1311-1312 م): لسان العرب، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، (دط) القاهرة (د ت).
67. ابن هشام: السيرة النبوية، تح: إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مصطفى السقا، مطبعة مصطفى الثاني الحلبي، (د ط)، مصر، (د ت).
68. الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي: المعيار المعرب عن فتاوى أهل أفريقية والمغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (دط)، الرباط، 1401 هـ/1983 م.
69. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت284 هـ/1297-1298 م): تاريخ اليعقوبي، دار صادر دار بيروت، (دط)، بيروت، 1579 هـ/1960 م.
70. مجاهد مجهول من المقاومة الإسلامية لغرناطة: نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، دار الفكر، دط، دمشق، 1423 هـ/2002 م.
71. مؤلف أندلسي من القرن الثامن الهجري: الحلل الموشيه في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديث، ط1، الدار البيضاء، 1399 هـ/1979 م.
72. مؤلف مجهول: مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، دار أبي رقرق، ط1، (دب) 2005.
- ثانيا المراجع:**
72. إبراهيم عبد الرحمان خليل: دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1971.
73. بشي إبراهيم العيد: تاريخ مختصر لأهم حضرات الشرق القديمة، دار هومة (دط) الجزائر، 2007.
74. أندري جوليان شارل: تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: محمد المزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، (دط)، تونس، 1399 هـ/1979 م.

75. الأنصاري عبد الحميد إسماعيل : نظام الحكم في الإسلام ، دار قطري بن الفجاءة ، (د ط) ، الدوحة ، 1405 هـ ، 1985 .
76. أبو الأعلى المودودي : نظرية الإسلام السياسية ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ط1 ، جدة ، 1405 هـ ، 1985 م .
77. بل ألفريد: الفروق الإسلامية في الشمال الإفريقي، تر: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1981.
78. بوقربة عبد المجيد: نحن والدولة مقارنات في الوعي السياسي العربي ، منشورات وزارة الثقافة، ط1، الجزائر، 2005.
79. حركات إبراهيم: المغرب العربي عبر التاريخ، دار الرشاد الحديث، (دط)، الدار البيضاء، (دت)، ج1.
80. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، ط14، بيروت، 1996.
81. خضير إدريس : التفكير الاجتماعي الخلدوني و علاقته ببعض النظريات الاجتماعية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، (دط) الجزائر ، 1983 .
82. حقيقي نور الدين : الخلد و نية العلوم الاجتماعية و أساس السلطة السياسية ، تر : إلياس خليل ، ديوان المطبوعات الجامعية ، (دط) ، وهران ، 1984 .
83. خليفة عادل : الفكر السياسي في العصور الوسطى و القديمة ، دار المنهل اللبناني ، ط1 ، بيروت ، 1422 هـ/2005 م.
84. الدراجي أبو زياني : العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية و تاريخية ، دار الكتاب العربي ، ط1 الجزائر ، 2003 .
85. - . -: القبائل الأمازيغية ، دار الكتاب العربي، (دط) الجزائر، (دت)، ج1.
86. الدوري، عبد الغني شاكر: أهمية النسب عند العرب قبل الإسلام في القرآن الكريم والسنة الشريفة، دار عمار، ط1، عمان(الأردن) 1428 هـ/2008.
87. ذنون عبد الواحد وآخرون: تاريخ المغرب العربي، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت 2004.
88. رضا محمد رشيد : الخلافة، موفم للنشر، (دط)، الجزائر، 1992.

89. أبو رميلة هشام: علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، دار الفرقان، ط1، عمان، الأردن، 1404هـ/1984م.
90. سعد الله علي: نظرية الدولة في الفكر الخلدوني، دار محب لاوي للنشر و التوزيع، ط1، عمان (الأردن)، 1424هـ/2003.
91. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، (دط)، الإسكندرية، 2008.
92. الصلابي على محمد: صفحات مشرفة من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي، دار بن الجوزي، ط1، القاهرة، 1428هـ/2007م.
93. طه جمال: الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء لدينا لطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2004.
94. عابد الجابري محمد: العصبية و الدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط6، بيروت، 1994.
95. العروي عبد الله: مفهوم الدولة، المركز الثقافي في العربي، ط6، الدار البيضاء (المغرب)، 1998م.
96. —. —: مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء (المغرب)، بيروت، 2009.
97. عشراتي سليمان: الشخصية الجزائرية الأرضية التاريخية و المحددات الحضرية، ديوان المطبوعات الجامعية، (دط) الجزائر، 2007.
98. عقون محمد العربي: الاقتصاد و المجتمع في الشمال الإفريقي القديم، دار الهدى، (دط)، الجزائر، 2003.
99. أبو عمرو: القاموس الوافي، دار الفكر للطباعة، ط1، بيروت، 1423هـ/2005م.
100. عمورة عمار، دادوة نبيل: الجزائر بوابة التاريخ، دار المعرفة، (دط)، الجزائر، 2009.
101. ابن عميرة محمد: دور زناته في الحركة المذهبية في المغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، (دط) الجزائر، 1984.
102. عنان محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، مطبعة المدني، ط2، القاهرة، 1990.

103. العيدروس محمد حسن: **المغرب العربي في العصر الإسلامي**، دار الكتاب الحديث، ط1، القاهرة، 1430هـ/2009م.
104. غانم محمد الصغير : **التوسع الفينيقي في غرب البحر الابيض المتوسط** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،(دط)، الجزائر ، 1992 .
105. غلاب عبد الكريم: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1426هـ/2005م.
106. فركوس صالح : **تاريخ النظم القانونية والإسلامية** ، دار العلوم ،(د ط)، عنابة (الجزائر) ، 2001 .
107. الفيومي أحمد محمد المقرئ : **قاموس المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي** ، دار الفكر ، ط1 ، بيروت 1425-1426هـ/2005م.
108. عبد المجيد الكفوري صدقي الرحمن أعيار : **الرحيق المختوم** ، دار المستقبل ، ط1 ، الجزائر ، 1426 هـ - 2005 م .
109. لاييكا جورج : **السياسة و الدين عند ابن خلدون** ، تر : شوقي الدويهي ،موسى و هبة ، دار الفارابي ، ط1،، بيروت ، 1980 .
110. لقبال موسى : **المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ط1 ، الجزائر 1981 .
111. لومبار جاك : **مدخل إلى الأثنولوجيا** ، تر : حسن قبيسي ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، الدار البيضاء (المغرب) ، 1997 .
112. ماكيفر روبرت : **تكوين الدولة** ، تر : حسن صعب ، دار العلم للملايين ، ط1 ، بيروت ، 1984 .
113. متولي أحمد: **بداية الأيام ونهاية الزمان في تاريخ الإسلام**، دار ابن الحزم، ط1، القاهرة، 1429هـ/2008م.
114. المراكشي أبو محمد عبد الواحد بن على: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 1462هـ/2006م.

115. المزارى الآغبى عوؤة: طلوع سعد السعود فى آخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19م، تح: يحي بوعزىز، دار البصائر، ط1، الجزائر، 2007.

116. مغربى عبد الغنى: الفكر الاجتماعى عند ابن خلدون ، تر : محمد الشرف بن دالى حسن ، المؤسسة الوطنىة للكتاب ، (دط) الجزائر ، 1986 .

117. الملاح هشام يحي: الوسىط فى تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الكتب العلمىة، ط1، بىروت، 1429هـ/2008.

ثالثا الموسوعات:

118. البخارى جمانة: الموسوعة التاريخىة، للشباب -ابن خلدون، منشورات وزارة الثقافة والسىاحة، (د ط) ، الجزائر ، 1984 .

119. خورشىد إبراهيم زكى ، الشناوى أحمد ، بونس عبد الحمىد: دائرة المعارف الإسلامىة، الشعب، ط2، القاهرة، 1969.

120. الفاسى عبد الكبىر بن المجدوب: موسوعة أعلام المغرب، تح: محمد حجى، دار الغرب الإسلامى، ط2، بىروت، 2008.

121. ابن قرىة صالح: الموسوعة التاريخىة للشباب عبد المؤمن بن على موحد بلاد المغرب، منشورات وزارة الثقافة والسىاحة، الجزائر، 1985.

122. القوصى عطىة موسوعة الثقافة التاريخىة و الأثرىة جزىرة العرب قبل الإسلام ، دار الفكر العربى، (دط)، القاهرة ، 2006.

123. الكجى عبد الحكىم: موسوعة التاريخ الإسلامى، دار أسامة،(دط)عمان الأردن، 2009.

رابعا الدورىات والحولىات:

124. الجىلانى عبد الرحمان: لمحة عن زحف بن غانىة المىروقى على بجایة (580هـ/1184م) مجلة الأصالة، مطبعة البعث، الدد19 قسنطىنة1974.

125. هوىدى يحي: محمد بن تومرت وتوفىقه بىن الحكمة والشرىعة، مجلة الأصالة، العدد12، الجزائر، 1432هـ/1973م.

خامسا الرسائل الجامعية:

126. الدراجي بوزياني: **العصبية القبلية وأثرها على النظم والعلاقات في المغرب الإسلامي،**

مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 1987م.

سادسا الكتب الأجنبية:

127. Levi provençale: document indicts d'histoire almohade, libraire orientaliste, paris, 1928.

ج: جزء

مج: مجلد

ط: طبعة

(دط): دون طبعة

(دن): دون ناشر

(دت): دون تاريخ

تح: تحقيق

تع: تعليق

تص: تصحيح

تر: ترجمة

هـ: هجري

م: ميلادي

ت: توفي

صفحة: P